

أبو مدين شيخ الشيوخ
حياته وتصوفه

إعداد:

د. عبدالحكيم عبدالرحيم على

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

الملخص :

جاء البحث بحمد الله في مقدمة وفصلين، أما المقدمة فقد اشتملت على تمهيد بينت فيه أهمية البحث وأسباب اختياره من خلال فوائد التعريف بالعلماء والأولياء، ثم خطة البحث، وأما الفصل الأول: فجاء بعنوان: مقدمات لا غنى عنها، وقد اشتمل على التعريف بالولي لغة واصطلاحا والتعريف بالكرامة لغة واصطلاحا، وانطلقت بعدها إلى مبحث أتيت فيه بالأدلة الواضحة التي تبين ثبوت الكرامة للأولياء، ثم بينت طرفا من كلام العلماء حول معنى التصوف في اللغة والاصطلاح، وأيضا معنى الصوفي، ثم انتقلت إلى مبحث آخر عرضت فيه جملة طيبة من أقوال أهل العلم والعمل في الحث على التبرك بذكر الصالحين والعلماء العاملين، إلى هنا تنتهى الفصل الأول.

وأما الفصل الثاني فجاء فيه الحديث عن التعريف بالشيخ أبي مدين، من حيث اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته وثناء العلماء عليه وشيوخه وتلاميذه، ثم تناولت طرفا طيبا عظيما نقلت فيه بعضا من كرامات الشيخ وبعدها نقلت جزءا كبيرا من حكمه وأقواله وبعد ذلك ذكرت بعضا من المؤلفات التي ألفت فيه وأيضا مؤلفاته وختمت البحث بذكر بعض من أشعاره ثم جاءت في النهاية الخاتمة وتلاها المصادر والمراجع والفهرس، وهنا تكون نهاية هذا البحث .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Abstract

The sheikh of Sheikhs Abu Madyan Average year Ninety five hundred His life and Mysticism.

Came search the praise of God in the introduction and two chapters. The article Lost caught on the boot Demonstrated the importance of research and reasons for chosen. Through the benefits of the definition of clients and tutors. Then the line search.

The first chapter Suddenly titled: The amount of the indispensable Included on the Definition and access language and idiomatically The definition of dignity language and idiomatically.

Set off to the section I came with evidence clearly showing Proven dignity tutors Then showed the party the words of scholars About the meaning of the act in the language and idioms And also the meaning of the Mystic Then moved to a section of another Offered in a good number of From the sayings of the scholars and In the induction to donate to the remembrance of the

righteous and customer personnel, Here ends the first chapter.

Chapter II suddenly talk about company profile Abu Madyan In terms of his name and his Mulder, the emergence, and the death of his Praise scientists him. His sheikhs and his disciples. Then ate party good great. Transfer some of the dignity of the thing. And then transfer a large part of the wisdom of his words. And then I mentioned some Of the compositions that draw in thing. And also his works. Seal search To mention some of his poetry. Then finally came to the conclusion. Followed by sources and references, index,. And here be the end of this research.

May Allah bless our Master Muhammad His family and companions.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه بأنوار هدايته، وصفى أسرارهم لمعرفة أسرار جماله وعظمته في ملكه، واستخلصهم للعكوف على بساط أنسه، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت عليهم أنوار رحمته، وفاضت عليهم أنوار حضرته، سبحان وسع لهم العطاء، وفتح لهم أبواب السماء، والصلاة والسلام على أكمل موجوداته، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذرياته، وأنصاره وأحبائه .

أما بعد

فإن هذه الأمة الإسلامية لا تزال بخير ما تلقى طلاب العلم فيها العلم والتربية على أيدي العلماء العاملين، فكما تلقى وتربى الصحابة على يد خير البشر ومعلم البشرية الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، تولوا هم تربية من جاء بعدهم فجاء جيل التابعين العظيم، والتابعون علموا وأدبوا من بعدهم، وهكذا جيل بعد جيل يقيض الله تعالى لهذا الدين رجالا يعملون بالعلم، فلما عملوا بما علموا أورثهم الله تعالى علما لا تحويه صفحات، وأجرى على أيديهم الكرامات.

ومن المعلوم أن أي زمن من الأزمان لم يخل من أولياء الله تعالى وعلمائه، ولقد حظيت بلاد المغرب بفضل الله عليها بأن ملئت من الصالحين والصالحات، وألفت في شأنهم المؤلفات، ومن المؤكد أن التصوف كان من أهم المقومات الدينية والروحية والثقافية والاجتماعية داخل مجتمعات الغرب

الإسلامي، بل هو من أبرز عناصر التراث الإسلامي التي كان لها تأثير عميق في مجرى الحياة اليومية .

ومن بين الحواضر التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الدينية والعلمية للمغرب تبرز مدينة إشبيلية وفاس وغيرهما والتي برز منهما حركات مكثفة لحفظ الدين، وما ذلك إلا لكثرة عبادها وزهادها وفقهائها وعلمائها ومتصوفيها، ومن بين هؤلاء الأعلام والزهاد والمتصوفة كان الشيخ : –

(أبو مدين شعيب بن الحسين)

ولأن هذا الشيخ كان رجلا من الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبار النحارير، ولكثرة ثناء العلماء عليه، ولعلو مقامه بين الأولياء، ولصنعته المتقنة في تخرج الأولياء على يديه، ولكثرة من تخرج على يديه من الأصفياء، ولأسلوبه الفريد في السلوك إلى الله، ولعلو همته في الطاعة لمولاه، لذا أحببت أن أتناوله بالدراسة والبحث، ولأنال البركة بذكره وذكر مناقبه وسيرته وحكمه ولما سيأتي من أسباب أخرى. وسميت بحثي : –

أبو مدين شيخ الشيوخ حياته وتصوفه

تمهيد

إن من أحسن ما يطرق الأسماع، ويحسن الإلمام به والإلماع، ويطلب خبره وحديثه، ويقص منه قديمه وحديثه، محاسن أهل الله وشمائلهم، وفواضلهم السنية وفضائلهم، ومزاياهم العظيمة الفاخرة، ومواهبهم الجسيمة الوافرة، إذ بذكرهم تتنزل الرحمات، وتتنزل سوابغ النعمات، وتستمطر سحائب البركات، وتستصحب السعادة في الحركات والسكنات، وببركاتهم تنعقد العزمات، وبنفحاتهم تحيا القلوب، وتنبعث همتها إلى المطلوب.

والتعريف بالعلماء والأولياء ودراسة طبقاتهم أمر يدعو إلى الغبطة، لأن العلماء صنفوا تاريخ البلدان وترجموا لمن وردها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن نشأ فيها أيضا أو دخلها من غير أهلها، كما صنفت الكتب في تراجم حفاظ الحديث، وترجم للضعفاء والوضاعين، وألف العلماء في طبقات شتى، وكان رجال التصوف من هؤلاء الذين عني بهم عناية خاصة، ومنهم وعلى رأسهم شيخنا أبو مدين، فقد امتلأت الكتب بذكره وذكر كراماته ومناقبه، وللتعريف بالعلماء والأولياء والوقوف على حقائقهم فوائد ومهمات كثيرة، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

معرفة مناقبهم وأحوالهم فيتأدب بآدابهم ويقتبس من محاسن آثارهم.

ومنها: معرفة مراتبهم وأعصارهم فينزلون منزلتهم حتى لا يخفض العالي عن درجته، ولا يرفع غيره فوق منزلته، لأنهم مراتب بعضهم فوق بعض.

ومنها: أنهم هداتنا وأئمتنا وأسلافنا الذين هم أشد شفقة علينا من والدينا لنا، وأهدى لنا في آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا بما هو أعود علينا، فلا يليق بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم.

ومنها: أن يكون العمل والترجيح بعدهم بقول أعلمهم وأكبرهم وأورعهم وأفضلهم إذا تعارضت أقوالهم واختلفت آراؤهم.

ومنها: بيان بعض مصنفاتهم وذكر بعض كلامهم وأشعارهم ليهتدى إلى الانتفاع بها فتعم الفائدة ويحصل الموصول من صلته على العائدة.

ومنها: أن بذكرهم تتنزل الرحمات الإلهية، وتنتشر على القلوب مواهب الفضل الإحسانية، إلى غير ذلك من المواهب الجليلة، فأحرى أن ننشر مزاياهم وفخرهم.

من أجل هذا وغيره اخترت أن أكتب عن هذا العلم العارف بالله، لنرى في شخصيته كيف يكون المريد، وكيف يكون السلوك إلى الله، وكيف يكون الشيخ شيخا، ولنرى منه كيفية التعلم والمعرفة، وأسأل الله تعالى فأقول: اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم، وانفعنا بعلومه وعلوم الصالحين، والآن مع خطة البحث :

خطة البحث

لقد جاء هذا البحث بعون الله في فصلين يسبقهما مقدمة وتمهيد وتتلوهما خاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على تمهيد بينت فيه أهمية البحث وأسباب اختياره من خلال فوائد التعريف بالعلماء والأولياء، ثم خطة البحث.

وأما **الفصل الأول**: فجاء تحت عنوان: **مقدمات لا غنى عنها** .

وقد اشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: معنى الولي لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: معنى الكرامة لغة واصطلاحا.

المبحث الثالث: ثبوت الكرامة.

المبحث الرابع: معنى التصوف لغة واصطلاحا ومعنى الصوفي.

المبحث الخامس: بعض ما جاء في الحث على التبرك بذكر الصالحين والعلماء العاملين.

الفصل الثاني: **التعريف بالشيخ أبي مدين** .

وقد اشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: اسمه ونسبه، ومولده ، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثاني: ثناء العلماء عليه .

المبحث الثالث: من شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: من كراماته .

المبحث الخامس: من حكمه وأقواله.

المبحث السادس: مؤلفات حوله ومؤلفاته ومن أشعاره.

الخاتمة - المصادر والمراجع -الفهرس

يا من إليه جميع الخلق يبتهل وكل حي على رحماه يتكل

يا من علا ويرى ما في القلوب وما تحت الثرى وجناح الليل منسدل

يا من دنا وتعالى أن يحيط به أبصار ذي العقل والأوهام والعلل

أنت الكريم وأنا للذنب مكتسب وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل

أنت المنادى به في كل حادثة أنت الإله ولأنت الذخر والأمل

أنت المغيث لمن سدت مسالكه أنت الدليل لمن ضاقت به السبل

إنا قصدناك والآمال واقفة عليك يرجوك ملهوف ومبتهل

فإن عفوت فعن جود وعن كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل[1]

---

(١) ديوان أبي مدين ص ٣٢، شذرات الذهب ٣٠٣/٤.

الفصل الأول: مقدمات لا غنى عنها

المبحث الأول: معنى الولي لغة واصطلاحا

بما أننا سنتكلم عن حياة رجل من رجال أهل الله، وعلم من أعلام الصوفية، وعن ولي من أولياء الله تعالى، وعن رجل ظهرت على يديه الكثير من الكرامات، فلا يفوتنا أن نتعرض ولو إشارة، لبيان معنى الولي ومعنى الكرامة وثبوتها ومعنى التصوف والصوفي.

فأما معنى الولي في اللغة: فعند البحث عن مادة الولي في المعجم تجدها: (و ل ي) الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب، يقال: ولي الشيء وولي عليه ولاية، فالولاية بالكسر: السلطان والنصرة والخطة، والولي ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه. ومن ذلك الولي بسكون اللام: أي القرب، يقال: تباعد بعد ولي(بسكون اللام)، أي قرب، وجلس مما يليني أي يقاربني، ومن الباب: المولى، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه، وأكثرها قد جاءت في الحديث، فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمرا أو قام به فهو مولاه ووليه.

والولي في أسماء الله تعالى: هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه عز وجل الوالي وهو: مالك الأشياء جميعها

المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي.[1]

وأما في الاصطلاح: ففي شرح المقاصد: الولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات.

وقيل: الولي له معنيان: أحدهما فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره، قال الله تعالى "وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"[2] فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه وتعالى رعايته، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب، وحتى يكون الولي وليا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما.

وقيل: إذا كان الولي هو القريب في اللغة، فبالتالي إذا كان العبد قريبا من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه وكان الرب قريبا منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٤١/٦، لسان العرب ٤٠٦/١٥، مختار الصحاح ص ٣٠٦.

(٢) جزء من الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف.

وقيل: هو الذي توالت أفعاله على الموافقة، وقيل: هو الذي لا يرائي ولا ينافق ولا يداهن وما أقل صديق من هذا حاله.(1)

المبحث الثاني: معنى الكرامة لغة واصطلاحا

أما الكرامة في اللغة: فمادتها: (ك ر م) الكاف والراء والميم: أصل صحيح له بابان، أحدهما شرف في الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، والأصل الآخر: الكرم بسكون الميم وهي القلادة.

أما عن الأصل الأول فيقال: كرم الرجل وغيره بالضم، كرما وكرامة فهو كريم، وجمع الكريم كرماء وكرام، وجمع الكرام كرامون، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، فالله عز وجل كريم حميد الفعال، والكرم نقيض اللؤم، ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق، وأصله في الناس، يقال: كرم الفرس، وهو أن يرق جلده ويلين شعره وتطيب رائحته، والكرام بالضم مثل الكريم، فإذا أفرط في الكرم قلت: كرام بالتشديد، والتكريم والإكرام بمعنى، والاسم منه الكرامة، وله علي كرامة: أي عزازة، واستكرم الشيء طلبه كريما أو وجده كذلك، ولا أفعل ذلك ولا حبا ولا كرما ولا كرامة، كل ذلك لا

---

(1) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٣٦٥، التفسير الكبير ٢٣/١٢، ٧٢/٢١، جامع كرامات الأولياء ١٥/١، مجموع الفتاوى ١٦٠/١١، فتح القدير ٤٥٧/٢، التعريفات ص٣٢٩، تاج العروس ٢٥٣/٤٠، التعاريف ص ٧٣٤، الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم ص٧، جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال ص ١٧٨.

تظهر له فعلا، وأفعل ذلك وكرامة لك وكرمي لك: عين ونعمة عين، ويقال: نعم وحبا وكرامة، وتكرم عن الشيء وتكارم: تنزه، وتكرم فلان عما يشينه، إذا تنزه، وأكرم نفسه عن الشائنات، والكرامة اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة والغارة موضع الإغارة، والكرامة: الغطاء يوضع على رأس الجَرَّة أو القِدر.(١)

وأما في الاصطلاح فهي: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها ، يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم.

والخوارق أنواع: منها اثنان للنبي، الأول الإرهاص وهو ما قبل النبوة، والثاني: المعجزة وهو ما بعدها، وما ظهر على يد عبد صالح فكرامة، وما ظهر على يد عبد ما كتخليصه من كربة كظلم ظالم فمعونة، وما يظهر على يد عبد فاسق قسمان استدراج أو إهانة، فالأول كأن يظهر على يده أمر فيه صلاح والثاني ضده، ومنها غير ذلك.

المبحث الثالث: ثبوت الكرامة

ذهب جمهور المسلمين إلى جواز كرامة الأولياء ومنعه أكثر المعتزلة، والأستاذ أبو إسحق يميل إلى قريب من مذهبهم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٧١/٥ وما بعدها، لسان العرب ٥١٠/١٢ وما بعدها بتصرف، المعجم الوسيط ٧٨٤/٢.

فالكرامة حق وواقعة، نطق بثبوتها القرآن الكريم وجاءت بها صحاح السنة ووقع التعبد بتصديق وقوعها وصدرت أنواعها من ألوف الصالحين من لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حتى يومنا هذا، بحيث يعد منكرها مكابرا من جهة، ومبتدعا ضالا من جهة أخرى، ولموقعها من الإسلام ذكرها أئمتنا في كتب التوحيد والأصول واحتجوا لها بأدلة نقلية وعقلية وذكروا لها أنواعا وأمثلة وأصبحت من لوازم عقائد أهل السنة .

فجاء في كتاب التعرف وغيره: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات، كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطي الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول، وجواز ذلك في عصر النبي وغير عصره واحد، وذلك أنه إذا كانت في عصر النبي ﷺ للنبي ﷺ على معنى التصديق له، كان في غير عصره على معنى التصديق، وقد كان بعد النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] ....

(١) سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في كعب، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان إليه السفارة في الجاهلية، وكان إسلامه فتحا على المسلمين، شهد بدرا والمشاهد كلها، وهو أحد فقهاء الصحابة، أجمعوا على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه وإنصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، ومحاسنه ومناقبه أكثر من أن تحصى، وهو أول من لقب بأمير المؤمنين، وأول من وضع التاريخ الهجري، وأول من دون الدواوين، استشهد في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين، والأرجح أنه عاش ثلاثا وستين سنة رضي الله عنه. ينظر التاريخ ==

حين نادى سارية ﷺ[1]، قال لسارية: يا سارية بن حصن، الجبل الجبل، وعمر ﷺ بالمدينة على المنبر، وسارية ﷺ في وجه العدو على مسيرة شهر، والأخبار في هذا كثيرة وافرة، وإنما أنكر جواز ذلك من أنكر، لأمور منها: أن فيه زعم إبطال النبوات، لأن النبي ﷺ لا يظهر عن غيره إلا بمعجزة يأتي بها تدل على صدقه ويعجز عنها غيره، فإذا ظهرت على يدي غيره لم يكن بينه وبين من ليس بنبي فرق ولا دليل على صدقه.

وجاء في الجوهرة : وأثبتن للأوليا الكرامة ومن نفاها إنبذن كلامه

قال الشارح رجمه الله: أي اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها، ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة،

==الكبير ١٣٨/٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٥/٣ وما بعدها، تهذيب التهذيب ٣٨٦/٧، الإصابة ٥٨٨/٤، تذكرة الحفاظ ٥/١ وما بعدها، الطبقات الكبرى للشعراني ١٨/١.

(١) هو الصحابي الجليل: سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله، ﷺ كان من أشد الناس عدوا، ولاه عمر ﷺ ناحية فارس، وله يقول: يا سارية، الجبل، وكان مخضرما، روى عن النبي ﷺ ولم يلقه، وكان يسبق الفرس عدوا على رجليه، ثم أسلم وحسن إسلامه، وأمّره عمر على جيش، وسيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، فقال في أثناء خطبته: يا سارية، الجبل الجبل، ورفع صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. أسد الغابة ١٥٤/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٥/٣.

وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت، بل ظهورها حينئذ أولى، لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار، ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق.(١)

وإليك جميل العبارات في الكلام على الكرامات ولمن تكون من عباد الله، وكيف تكون، ذلكم الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات المكية في الباب الرابع والثمانين ومائة في معرفة مقام الكرامات، ما نصه:

اعلم أيدك الله أن الكرامة من الحق من اسمه البر، ولا تكون إلا للأبرار من عباده، جزاء وفاقا، فإن المناسبة تطلبها وإن لم يقم طلب ممن ظهرت عليه، وهي على قسمين حسية ومعنوية، فالعامة ما تعرف الكرامة إلا الحسية، مثل: الكلام على الخاطر، والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والأخذ من الكون، والمشي على الماء، واختراق الهواء، وطي الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال، فالعامة لا تعرف الكرامات إلا مثل هذا، وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله، والعامة لا تعرف ذلك، وهي: أن تحفظ عليه آداب الشريعة، وأن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغل والحقد من صدره للناس، والحسد وسوء

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧١، الرسالة القشيرية ص ٥٢٧ وما بعدها، بستان العارفين للنووي ص ٢٩١ وما بعدها، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣١٦، المطرب ص ٢٨ وما بعدها، اليواقيت والجواهر ١٦٠/١، ١٠١/٢، حاشية الإمام ا البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٥٢.

الظن، وطهارة القلب من كل صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء وتفقد آثار ربه في قلبه، ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها، فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه ويخرجها وعليه خلعة الحضور، فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية، التي لا يدخلها مكر ولا استدراج، بل هي دليل على الوفاء بالعهود وصحة القصد والرضى بالقضاء في عدم المطلوب ووجود المكروه، ولا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون وأهل الله المصطفون الأخيار، وأما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفي، ثم إنا إذا فرضناها كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة، أو تنتج استقامة لا بد من ذلك وإلا فليست بكرامة...الخ (١)

وظهور كرامات الأولياء ذكرها الله في كتابه وجاءت في سنة نبيه ﷺ، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات، فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم، ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيما روي عن إبراهيم بن

---

(١) الفتوحات المكية ٣٦٩/٢، حاشية السباعي على شرح الخريدة ص ١٢٣، ١٥٥، كتاب جامع الأصول في الأولياء ص ١٦٠.

أدهم(١) أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكة: أن من اعتقد جواز ذلك يكفر.

والإنصاف ما ذكره الإمام التفتازاني (٢) أنه قال: سئل أحد العلماء عما يحكى أن الكعبة كانت تزور واحدا من الأولياء هل يجـوز القـول به، فقال : نقض

---

(١) القدوة الإمام العارف سيد الزهاد أبو إسحق العجلي وقيل التميمي الخراساني البلخي: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، نزيل الشام، مولده في حدود المئة، حدث عن أبيه ومحمد بن زياد الجمحي صاحب أبي هريرة ومالك بن دينار وسليمان الأعمش، وحدث عنه: رفيقه سفيان الثوري وشقيق البلخي وبقية بن الوليد، حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته فولدت له إبراهيم بمكة، وهو من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم والمراكب، توفي سنة اثنتين وستين ومئة وقبره يزار. الكاشف ٢٠٧/١، تقريب التهذيب ص ٨٧، سير أعلام النبلاء ٣٨٧/٧، البداية والنهاية ١٣٥/١٠.

(٢)الإمام العلامة: مسعود بن عمر بن عبد الله، الشيخ سعد الدين التفتازاني ، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعي، ولد سنة ثنتي عشرة وسبعمائة بتفتازان، بفتح الفوقيتين والزاي، وسكون الفاء، وبالنون، قرية بنواحي نسا، وهي مدينة بخراسان ، واشتهر ذكره، وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه، وله: التلويح على التنقيح في أصول الفقه، شرح المقاصد في الكلام، شرح الشمسية في المنطق، وغير ذلك، وكان في لسانه لكنة، وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق، مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١١٢/٦، بغية الوعاة ٢٨٥/٢، طبقات المفسرين للداوودي ٣١٩/٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٤٧/٨، معجم البلدان ٢٨٢/٥، معجم المؤلفين ٢٢٨/١٢، الأعلام للزركلي ٢١٩/٧.

العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة.(١)

وجاء في النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية(٢): ومن الناس من فرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة، مثل قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يتحدى بها، ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها، كإظهار العلاء بن الحضرمي(٣) المشي على الماء، وإظهار عمر مخاطبة

(١) شرح المقاصد ٢٠٣/٢، النبوات ص ٥.

(٢) الشيخ الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد المفسر شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة بحران، وقدم مع أهله إلى دمشق سنة سبع فسمع من بن عبد الدائم وابن أبي اليسر والكمال بن عبد وابن الصيرفي وابن أبي الخير وخلق كثير وعني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقي وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك، حدث بدمشق ومصر وغيرهما الكثير، توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. ينظر تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤، معجم المحدثين ص ٢٥، البدر الطالع ٦٣/١، معجم الذهبي ص٢٥، الدرر الكامنة ١٦٨/١.

(٣) هو العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية، واسم الحضرمي، عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف، وله عدة إخوة، يقال: إنهم كانوا أحد عشر، وأخوه عمرو بن الحضرمي أول قتيل من المشركين قتله المسلمون، وبسببه كانت وقعة بدر، وكان العلاء من سادة المهاجرين، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه السائب بن يزيد وأبو هريرة وحيان الأعرج ، وكان يقال إنه مجاب الدعوة، وولاه رسول الله ﷺ البحرين، وأقره أبو بكر وعمر، ثم ولاه عمر البصرة، مات سنة إحدى وعشرين، ==

سارية على المنبر، وإظهار أبي مسلم(١) لما ألقي في النار أنها صارت عليه بردا وسلاما، وهذا بخلاف من يدخلها بالشياطين فإنه قد يطفئها إلا أنها لا تصير عليه بردا وسلاما، وإطفاء النار مقدور للإنس والجن، ومنها ما

==وله مناقب وفضائل كثيرة. ينظر تهذيب التهذيب ١٥٩/٨، تهذيب الكمال ٤٨٣/٢٢، سير أعلام النبلاء ٢٦٢/١، البداية والنهاية ١٢٠/٧.

(١) أبو مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب، حكيم الأمة، انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني، كان قد رحل بطلب النبي فمات النبي وهو في الطريق فلقي أبا بكر، وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية، وقيل: توفي في خلافة معاوية، تنبأ الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم، فقال له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، فأمر بنار عظيمة فأججت وطرح فيها أبو مسلم، فلم تضره، فقدم المدينة فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي فبصر به عمر بن الخطاب، فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره، قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: نشدتك بالله عز وجل أنت هو؟ قال: اللهم نعم، قال: فقبل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه و بين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. التاريخ الكبير ٥٨/٥، حلية الأولياء ١٢٢/٢، صفة الصفوة ٢٠٨/٤، تهذيب التهذيب ٢٥٦/١٢.

يتحدى بها صاحبها: أن دين الاسلام حق كما فعل خالد بن الوليد(١) لما شرب السم، وكالغلام الذي أتى الراهب وترك الساحر وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه، وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله ومثل هذا كثير.

ومن أراد الزيادة فليراجع كتاب جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، ففيه رسائل تراثية لكبار العلماء، وكتاب جامع كرامات الأولياء للنبهاني وغيرهما الكثير وفي كتب علماء الكلام والعقيدة ما يرد على من أنكر ثبوت الكرامات.(٢)

---

(١) هو سيدنا خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ،كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، وشهد مؤتة والفتح وحنينا، كان إسلامه مع إسلام عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة، ثلاثتهم أسلموا وهاجروا، فاستبشر النبي ﷺ بإسلامهم وهجرتهم، حدث عنه: ابن خالته عبد الله بن عباس، وقيس بن أبي حازم، والمقدام بن معدي كرب، وآخرون. توفي بحمص سنة إحدى وعشرين، ومشهده على باب حمص، وعليه جلالة. الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٩/٢، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٩٢٥/٢، سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١.

(٢) كتاب جامع الأصول في الأولياء ص ١٦٠وما بعدها، الملل والنحل ص ١٠٢، التعريفات ص ٢٣٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥٨، لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢.

المبحث الرابع: معنى التصوف لغة واصطلاحا ومعنى الصوفي

جاء في الرسالة القشيرية: هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة: المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص، إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال: إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال: إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف، ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق.

أما صاحب إيقاظ الهمم فقال: اختلف العلماء في اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس: أحدها: أنه من الصوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له، الثاني: من صوفة القفا للينها، فالصوفي هين لين كهي، والثالث: أنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف

المذمومة، الرابع: أنه من الصفاء، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله[1] في الصوفي :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا * جهلا وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسـم إلا فتى * صافي فصوفي حتى سمي الصوفي.

الخامس : أنه منقول من صفة المسجد النبوي الذي كان منزلا لأهل الصفة، لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال: "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ"[2] وهو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه.[3]

---

(١) الكاتب الشاعر أوحد عصره في الفضل والأفضال والمروءة: علي بن محمد ويقال بن أحمد بن الحسن بن محمد، أبو الفتح البستي ، وبست: بضم الباء الموحدة وإسكان السين المهملة، مدينة بالمشرق، روى عنه بعض أشعاره الحاكم أبو عبد الله وأبو عثمان الصابوني وأبو علي الحسين بن علي بن محمد، ذاع ذكره في الآفاق، وسار شعره في البلاد، توفي بما وراء النهر سنة إحدى وأربعمائة، من ألفاظه البديعة قوله: من أصلح فاسده أرغم حاسده. من أطاع غضبه أضاع أدبه. عادات السادات سادات العادات. من سعادة جدك وقوفك عند حدك. أجهل الناس من كان للإخوان مذلا، وعلى السلطان مدلا. حد العفاف الرضا بالكفاف. وتوفي سنة أربعمائة، وقيل سنة إحدى وأربعمائة ببخارى. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦١/٤٣، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٣١/١٤، طبقات الفقهاء الشافعية ٦٤٤/٢، وفيات الأعيان ٣٧٦/٣.

(٢) جزء من الآية رقم ٢٨ من سورة الكهف.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٣٨٥، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص ٨، حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٣٤٠.

أما تعريف التصوف اصطلاحا فقد تعددت تعريفاته وتنوعت، ولعل ذلك نتيجة لمرور القوم بأحوال متعددة ومختلفة، وكل من التعريفات تشير إلى بعض جوانب من التصوف من خصال حميدة، حتى قيل: اختلفت أقوال القوم وعبارات العارفين في ماهية التصوف وحده على أكثر من ألف قول، نظرا إلى شروطه وآدابه وغاياته وثمراته، فكل منهم عبر بلغته وإشاراته، ومما لا شك فيه أن كثرة التعريفات تدل على شرف العلم وشهرته، والحق كما قال شارح الجوهرة: أن التصوف ثمرة جميع علوم الشريعة وليس قواعد مخصوصة مدونة .

وأنا هنا أنقل طرفا يسيرا من أقوالهم فأقول: سئل عن التصوف الإمام الجنيد بن محمد رحمة الله عليه(١) فقال: اسم جامع لعشرة معاني وهي: التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها، والثاني: اعتماد القلب على الله عز وجل، والثالث: الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي، والرابع:

---

(١) الإمام القدوة المحدث سيد الطائفة أبو القاسم: الجنيد بن محمد، نزيل هراة، وشيخ الصوفية، أصله من نهاوند، مولده سنة ست وستين وأربع مائة ببغداد ونشأ بها، سمع أبا بكر بن ماجه وسليمان الحافظ بأصبهان، وأبا الفضل محمد بن أحمد العارف وغيرهم، وسمع بهراة محمد بن علي العميري ونجيب بن ميمون، ، ومات في رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين وخمس مائة، كان فقيها فاضلا محدثا صدوقا موصوفا بالعبادة، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، وخاله سرى السقطي، وكان يفتي بحلقة أبي ثور وله من العمر عشرون سنة، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة. ينظر حلية الأولياء ٢٥٥/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢٠، البداية والنهاية ١١/١١، طبقات الشافعية ٧٦/١، تاريخ بغداد ٢٤١/٧.

الصبر عن فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى، والخامس: التمييز في الأخذ عند وجود الشيء، والسادس: الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال، والسابع: الذكر الخفي عن جميع الأذكار، والثامن : تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة، والتاسع: اليقين في دخول الشك، والعاشر: السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة، فاذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب .

وقيل: التصوف قميص قمصه الله أقواما فان ألهموا عليه الشكر وإلا كان خصمهم في ذلك الله عز وجل، وقيل: الخروج عن كل خلق دني والدخول في كل خلق سني، وقيل: خلق كريم يخرجه الكريم إلى قوم كرام، وقيل: أن يميتك الحق عنك ويحييك به، وعلامة الفقر الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الكاذب العكس، وقيل: هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام، وقيل: أن تكون معه تعالى بلا علاقة، وقيل: الأخذ بالحقائق واليأس عما في أيدي الخلائق، وقيل: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال، وقيل: مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل، وقيل: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى

على الحقيقة، واتباع رسول الله ﷺ في الشريعة، وقيل: ترك الاختيار، وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود، وقيل: حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك، وقيل: الإعراض من الاعتراض، وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل: خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف، وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق، وقيل: ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع، وقيل: استرسال النفس مع الله على ما يريده، وقيل: التصوف اسم لثلاثة معان:- وهو أن لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بسر باطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله...

أما الصوفي فقيل: هو من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق، وقيل: من صفا قلبه فصفى وسلك طريق المصطفى ﷺ ورمى الدنيا خلف القفا وأذاق الهوى طعم الجفا، وقيل: من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر، وقيل: هو الذي لنفسه ذابح ولهواه فاضح ولعدوه جارح وللخلق ناصح، دائم الوجل يحكم العمل ويبعد الأمل ويسد الخلل ويغضى على الذلل، عذره بضاعة وحزنه صناعة وعيشه قناعة، بالحق عارف وعلى الباب عاكف وعن الكل عازف، تربية بره وشجرة وده وراعي عهده، وقيل: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح، وقيل: الصوفي

كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب تظل كل شيء وكالقطر يسقى كل شيء.[1]

هذه جملة طيبة من بعض أقوال أهل العلم بالتصوف والصوفي، وهي في جملتها لا تخرج عن الآداب الشرعية ، وكل عبارة وإن كانت تختلف عن الأخرى في الألفاظ إلا أنها توافقها في أن كلا من المعاني التي تقدمت تدعو إلى خلق كريم من الأخلاق الإلهية والتي أمر بها نبينا ﷺ فالتصوف مبني على الكتاب والسنة كما قال الجنيد وغيره، ولقد قال الإمام الجنيد أيضا: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال أيضا: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا العلم لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة، وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره(٢): جميع الأولياء لا يستمدون إلا من كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ولا يعملون إلا بظاهرهما، ، وقال السري السقطي(٣): من ادعى باطن علم

---

(١) حلية الأولياء ٢٢/١، كنوز الذهب في تاريخ حلب ٣٨٢/١، التعريفات ص٨٣، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٤٥٦/١، الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ص ٢٣٣، جامع الأصول في الأولياء ص ٦٨، الفتوحات المكية ٢٦٦/٢.

(٢) ستأتي ترجمته مفصلة في مبحث شيوخ أبي مدين.

(٣) السري، ويقال: (سري) بن المُغلس السقطي الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي، خال الجنيد وأستاذه صحب معروفا الكرخي وهو أجل أصحابه، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم بن بشير وأبي بكر بن عياش ويزيد ==

ينقضه ظاهر حكم فهو غالط، قال سهل بن عبد الله التسترى(١): كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، وقال أيضا: أصولنا ستة:. التمسك بالقرآن والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداة

==بن هارون وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، روى عنه الجنيد بن محمد والنوري أبو الحسين وأبو العباس بن مسروق، ولد في حدود الستين ومئة، وتوفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين وقيل: إحدى وخمسين، وقيل: سنة سبع وخمسين. الرسالة القشيرية ص ٦٨، سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣٥٧/٢، صفة الصفوة ٣٧١/٢، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ص ٥١.

(١) القدوة الزاهد العارف بالله أبو محمد سهل بن عبد الله يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، بالتاء المضمومة المنقوطة من فوق بنقطتين وسكون السين المهملة وفتح التاء المعجمة أيضا بنقطتين من فوق والراء المهملة، نسبة إلى: تُستَر بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى، ، بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان، صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج، له مواعظ وأحوال وكرامات وكان من أكبر مشايخ القوم وأئمتهم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال، ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، توفي في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل ثلاث وسبعين عن نحو من ثمانين سنة. الرسالة القشيرية ص ٧٧، سير أعلام النبلاء ٣٣٢/١٣، شذرات الذهب ١٨٢/٢، مرآة الجنان ٢٠٠/٢، معجم البلدان ٢٩/٢، الأنساب للسمعاني ٥١/٣.

الحقوق، وقال أبو الحسين النوري(١): من رأيته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن جد العلم الشرعي فلا تقربه، ومن رأيته يدعي حالة لا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه، وقال أبو سعيد الخراز(٢): كل فيض باطن

---

(١) اسمه أحمد بن محمد البغوي، وقيل محمد بن محمد، وأحمد أصح، بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ، وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم ، ولم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما، ومن أحذقهم بلطائف الحقائق، صحب سريا السقطي ومحمد بن علي القصاب وكان من أقران الجنيد، ورأى أحمد بن أبي الحواري، وأسند الحديث، توفي سنة خمس وتسعين ومائتين. الرسالة القشيرية ص ٨٨، صفة الصفوة ٤٣٩/٢، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ص١٣٥، سير أعلام النبلاء ٧٠/١٤.

(٢) الزاهد الكبير: أحمد بن عيسى، أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، وله تصانيف في ذلك، وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، وقيل: هو إمام القوم في كل فن من علومهم، وله في بادئ أمره عجائب، فلما مات ظهرت بركاته عليه وعلى من صحبه، وهو أحسن القوم كلاما خلا الجنيد فإنه الإمام، صحب ذا النون المصري والسري وبشر وغيرهم، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم وغيره، وعنه على بن محمد المصري وجماعة، وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، قال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا، توفي في سنة سبع وسبعين ومائتين،: وقيل: في سنة سبع وأربعين، وقيل: في سنة ست وثمانين، والأول أصح. الرسالة القشيرية ص ٩٤، البداية والنهاية ٥٨/١١، العبر في خبر من غبر ٨٣/٢، الكامل في التاريخ ٣٦٠/٦، تاريخ الإسلام ٧٨/٢١، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ص١٨٣ .

يخالفه ظاهر فهو باطل، وقال أبو العباس أحمد الدينوري(١): لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن، وقال الغزالي(٢): من زعم أن له مع الله تعالى حالا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم شرب الخمر، وجب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقيل: ولا نظر في خلوده لأنه مرتد لاستحلاله ما علمت حرمته أو نفيه وجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما. وقال أيضا الغزالي: من قال إن الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، إلى غير ذلك، وفي رسالة القشيري(٣) طرف منه.

---

(١) هو أحمد بن محمد، صحب يوسف بن الحسين وعبد الله الخراز وأبا محمد الجريري وأبا العباس بن عطاء ولقي رويما، وهو من أفتى المشايخ وأجلهم وأحسنهم طريقة واستقامة، ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة بأحسن كلام، ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة. الرسالة القشيرية ص ١١٣، النجوم الزاهرة ٣٠٨/٣، طبقات الصوفية ص٣٥٥.

(٢) حجة الإسلام أبو حامد الطوسي الغزالي محمد بن محمد بن محمد ، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ودفن بطوس، أخذ عن إمام الحرمين كثيرا ولازمه حتى صار أنظر أهل زمانه، وجلس للإقراء في حياة إمامه، وحج، وأقام بدمشق عشر سنين وصنف فيها كتبا، يقال: إن الإحياء منها، ثم سار إلى القدس والإسكندرية ثم عاد إلى وطنه بطوس مقبلا على التصنيف والعبادة، وقد ذكر له السبكي في الطبقات الكبرى ترجمة طويلة. طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦، البداية والنهاية ١٧٣/١٢، طبقات الشافعية، ٢٩٣/١، الوافي بالوفيات ٢١١/١ .طبقات المفسرين للداودي ص ١٥٢.

(٣) الصوفي الزاهد شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومصنف الرسالة أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، ==

والذي ينبغي أن يعلم أن كلام العارفين المحققين وإن دل على أنه لا مخالفة بين الشريعة والطريقة والحقيقة لكنه يدل أيضا على أن في الحقيقة كشوفا وعلوما غيبية، ولذا تراهم يقولون: علم الحقيقة هو العلم اللدني وعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الأسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة، إلا أن هذا لا يدل على المخالفة، فإن الكشوف والعلوم الغيبية ثمرة الإخلاص الذي هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة، فالحقيقة مترتبة على الشريعة ونتيجة لها، ومع هذا لا تغير تلك الكشوف والعلوم الغيبية حكما شرعيا ولا تقيد مطلقا ولا تطلق مقيدا خلافا لما يتوهمه البعض.(١)

==المفسر المحدث الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي الأديب النحوي الكاتب الشاعر الصوفي لسان عصره وسيد وقته، لم ير أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة، توفي أبوه وهو صغير فتعلم الأدب وحضر مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق، فقبله وأقبل عليه وتفرس فيه النجابة وخرج إلى درس محمد بن أبي بكر الطوسي ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر بن فورك ثم تردد إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وغيرهم، ولد سنة خمس وسبعين وثلاث مئة ، وتوفي في ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة وله تسعون سنة. سير أعلام النبلاء ٢٢٧/١٨، شذرات الذهب ٣١٩/٣، العبر في خبر من غبر ٢٦١/٣، مرآة الجنان ٩١/٣.

(١) ينظر روح المعاني ١٩/١٦، الرسالة القشيرية ص ٢٢ وما بعدها، ص ١١٣، إحياء علوم الدين ١٠٠/١، ٣٠٢/٢، ٢٣٠/٣، حلية الأولياء ١٢١/١٠، مجموع الفتاوى ٧١٩/١٠.

المبحث الخامس: بعض ما جاء في الحث على صحبة الصالحين والعلماء العاملين.

العلماء والأولياء والصالحون فضلهم الله في كتابه ونطقت بذلك السنة النبوية المطهرة وتواترت نقول العلماء الثقات عن فضلهم وورعهم وما لهم عند الله في الدنيا وما لهم في الآخرة، ومما لا شك فيه أن الذاكر لله تعالى إنما يفضل بذكر الله له وبذكره هو لله، والأولياء لا تخل حياتهم وأنفاسهم من التعلق بالله تعالى، فكان لا شك في ذلك من الانتفاع بهم والتردد إليهم وذلك لأنهم أعرف الناس وأعلمهم بالله.

أيضا فإن هؤلاء العارفين عبيد الله، القائمون بأمره ونهيه الدالون عليه، فالمقصود من تعظيمهم تعظيم نعمة الله عليهم والاقتداء بهم، ومن ذكر أقوالهم التأسي بهم، والمراد من ذكرهم ذكر الله فألحقوا به. وها أنا ذا أنقل طرفا من أقوال العلماء الثقات في الحث على التعلق بهم وذكرهم وعلى أن بذكرهم تتنزل الرحمات الإلهية، وناهيك عن أناس إذا ذكروا نزلت الرحمات فكيف بهم هم أصحاب الشأن.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: فإن قلت: إن كانت نفسى لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها؟ فأقول: سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين الأخيار، ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهدا في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به، وكان بعضهم يقول: كنت إذا اعترتني فترة في العبادة

نظرت إلى أحوال محمد بن واسع(١) وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا، إلا أن هذا العلاج قد تعذر، اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين، فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع، فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم، ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد، وقد انقضى تعبهم ويبقى ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم، وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم، فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك.(٢)

وجاء عن سفيان بن عيينة(٣) وغيره أنهم قالوا: عند ذكر الصالحين تنزل

---

(١) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس، أبو عبد الله وأبو بكر، الأزدى البصرى، من الثقات العابدين الصالحين، حدث عن أنس بن مالك وعبيد بن عمير ومحمد بن سيرين وغيرهم، وكان قليل الرواية، وحدث عنه سفيان الثوري وحماد بن سلمة وخلق، ومناقبه مشهورة، وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم. التاريخ الكبير ٢٥٥/١، الثقات ٣٦٦/٧، الطبقات الكبرى ٢٤١/٧، سير أعلام النبلاء ١١٩/٦، العبر في خبر من غبر ١٥٧/١.

(٢) إحياء علوم الدين ٤٠٨/٤.

(٣) هو سفيان بن عيينة أبو محمد الكوفي، مولى بني هلال، ولد سنة سبع ومائة ليلة النصف من شهر شعبان، سكن مكة، وكان ثبتا في الحديث وخاصة في حديث الزهري، روى عن عمرو بن دينار والزهري ومحمد بن المنكدر، وروى عنه الشافعي وغيره، مات بمكة أول يوم من رجب وقيل آخر يوم من جمادى سنة ثمان ==

الرحمة، وقال بعضهم: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين،(١)وكان الإمام المازري(٢) حسن الخلق مليح المجالسة كثير الحكاية والإنشاد.(٣)

وعن أبي العباس بن العريف(٤) قال: كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي، أقرأ عليه الحديث فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي

==وتسعين ومائة وقيل ثمان وسبعين. ينظر التاريخ الكبير ٩٤/٤، معرفة الثقات ٤١٧/١، الثقات ٤١٣/٦، طبقات الحفاظ ص ١١٩.

(١) صفة الصفوة ٤٥/١.

(٢) الشيخ الإمام العلامة البحر أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، مصنف كتاب المعلم بفوائد شرح مسلم وإيضاح المحصول في الأصول، وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء الموصوفين، والأئمة المتبحرين، وكان بصيرا بعلم الحديث، حدث عنه القاضي عياض وأبو جعفر بن يحيى القرطبي الوزغي، مولده بمدينة المهدية من إفريقية وبها مات في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمس مئة وله ثلاث وثمانون سنة، ومازر بليدة من جزيرة صقلية بفتح الزاي وقد تكسر. سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٠، شذرات الذهب ١١٤/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠٦/٢٠، الديباج المذهب ص ٢٧٩.

(٤) هو الإمام الصوفي الزاهد العارف المربي المقرئ صاحب المقامات والإشارات: أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي، كان ذا عناية في القراءات، وجمع الروايات والطرق وحملتها، وكان متناهيا في الفضل والدين، صحب أبا علي بن سكرة الصدفي وأبا الحسن البرجي، وكان الزهاد والعباد يقصدونه، ولما أكثر أتباعه توهم السلطان وخاف أن يخرج عليه فطلبه فأحضر إلى مراكش فتوفي في الطريق قبل أن يصل، واحتفل الناس بجنازته وندم السلطان على ما كان منه في جانبه فظهرت له=

حكايات الصالحين، فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات؟ قال: فما تم لي الخاطر حتى نظر لي الشيخ شزرا وقال: يا أحمد، الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده، قال: فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق، فلما رآني دهشت قال لي: يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله تعالى؟ قلت: الشيخ أعلم، قال: قوله تعالى "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ"(١)(٢)

ثم ههنا دقيقة عجيبة في الآية وهي أن المعارف الإلهية لا بد لها من قابل ومن موجب، وقابلها هو القلب، والقلب ما لم يكن كامل الاستعداد لقبول تلك المعارف الإلهية والتجليات القدسية لم يحصل الانتفاع بسماع الدلائل، فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر إصلاح القلب وهو تثبيت الفؤاد، ثم لما ذكر صلاح حال القابل أردفه بذكر الموجب وهو مجيء هذه السورة سورة يوسف المشتملة على الحق والموعظة والذكرى، وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة.وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة ﷺ: (٣) الحكايات عن العلماء

=كرامات رحمه الله، وقيل توفي بمراكش وله ثمان وسبعون سنة، وكان ذلك في سنة ست وثلاثين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١١١/٢٠، شذرات الذهب ١١٢/٤.

(١) من الآية رقم ١٢٠ من سورة هود.

(٢) سنن المهتدين ص ٤٠، ٤١.

(٣) هو الإمام فقيه الملة عالم العراق: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، وهو من رهط حمزة الزيات القارئ المعروف، والإمام صاحب المذهب الحنفي، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، رأي أنس بن مالك ولم يثبت له حرف عن أحد منهم، وهو صاحب الرأي، عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، حدث عنه خلق==

ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم وأخلاقهم، وقال بعض المشايخ: الحكايات جند من جنود الله يثبت بها قلوب أوليائه.(١)

وجاء في جمع الجوامع عن سيدنا معاذ ﷺ (٢): "ذكر الأنبياء من العبادة، وذكر الصالحين كفارة الذنوب، وذكر الموت صدقة، وذكر النار من الجهاد، وذكر القبر يقربكم من الجنة، وذكر القيامة يباعدكم من النار، وأفضل العبادة ترك الحيل، ورأس مال العالم ترك الكبر، وثمن الجنة ترك الحسد، والندامة

==كثير، وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، توفي في سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة، وللحافظ السيوطي كتاب تبييض الصحيفة بمناقب أبي حنيفة. سير أعلام النبلاء٦/٣٩٠، الجرح والتعديل ٨/٤٥٠، معرفة الثقات ٢/٣١٤، الجواهر المضيئة ١/٤٩:٦٣ بتصرف، وفيات الأعيان ٥/٤٠٥.

(١) الزهد لابن حنبل ص ٣٢٦، الورع ص ٧٦، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٤٢٩/١٧، مرقاة المفاتيح ١٤٤/٤، حلية الأولياء ٢٨٥/٧، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٢٣/١، المدخل لابن الحاج ١١٥/١.

(٢) هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود، وكان ممن جمع القرآن علي عهد رسول الله ﷺ، شهد بدرا وهو ابن عشرين سنة وشهد العقبتين والمشاهد كلها، بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلي الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، توفي ﷺ بناحية الأردن بالشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة في خلافه عمر . الإصابة ١٣٦/٦، ١٣٧، الاستيعاب ١٤٠٢/٣، الثقات ٣/ ٣٦٨ ، ٣٦٩، التاريخ الكبير ٣٥٩/٧، تقريب التهذيب ١/ ٥٣٥ ، رجال سلم ٢٣٢/٢، الكنى والأسماء ٥١١/١، شذرات الذهب ٣٠/١ ، ٣١.

من الذنوب: التوبة الصادقة".(١) وفي تاريخ بغداد عن محمد بن منصور الطوسي (٢) يقول: نازلت قوما من أصحاب الفضيل بن عياض(٣) فيما يذكرونه من كرامة المؤمن على الله، فقلت: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فمطرنا في تلك الساعة.(٤)

---

(١) جمع الجوامع ٦٣/٥ ح رقم ١٤٢٦٤.

(٢) الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو جعفر الطوسي ثم البغدادي العابد: محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم، أبو جعفر، سمع إسماعيل بن علية، وسفيان بن عيينة، وحجاج بن محمد الأعور، روى عنه: محمد بن عبد الله المطين، وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش، وأحمد بن علي الآبار، مات رحمه الله في شوال سنة أربع وخمسين ومئتين وعاش ثمانيا وثمانين سنة. تاريخ بغداد ٤٠٦/٤، سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٢.

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى أبو على الإمام الرباني التميمي اليربوعي الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها، أحد من أخذ الفقه عن أبي حنيفة وروى عنه الإمام الشافعي فأخذ عن إمام عظيم وأخذ عنه إمام عظيم وهو إمام عظيم نفعنا الله بهم آمين، وروى له إمامان عظيمان البخاري ومسلم، وأيضا أصحاب السنن، وكان يثقل عليه الحديث، وكان يقول: لو طلب مني الدنانير كان أيسر علي من التحديث، ولد بخراسان، وقدم الكوفة وهو كبير، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها، روى رحمه الله عن الأعمش وجعفر الصادق وحميد الطويل وغيرهم، وروى عنه الشافعي وابن المبارك وغيرهم، كان رحمه الله فاضلا ثقة نبيلا كثير الحديث، مات في أول سنة سبع وثمانين ومائة. ينظر طبقات الحفاظ ص ١١٠، طبقات الحنفية ٤٠٩/١، صفوة الصفوة ٢٣٧/٢، شذرات الذهب ٣١٦/١.

(٤) تاريخ بغداد ٢٤٩/٣.

وسأل أبو عمرو بن نجيد(١)، أبا عمرو بن حمدان(٢) ـ وكانا من الصالحين ـ بأي نية أكتب الحديث فقال: ألستم ترون أن عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة؟ قال: نعم، قال فرسول الله ﷺ رأس الصالحين. فمجالس الحديث وروايته ودرايته تحصل لهم من بركاته فإنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة

---

(١) إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن خالد أبو عمرو بن نجيد السلمى النيسابوري الزاهد العابد شيخ الصوفية، وشيخ عصره في التصوف والعبادة والمعاملة ، وأسند من بقي بخراسان في الرواية، ورث من آبائه أموالا جزيلة فأنفقها على العلماء ومشايخ الزهد، وصحب من أئمة الحقائق الشيخ الجنيد وغيره، وسمع من إبراهيم بن أبى طالب وعبد الله بن أحمد ابن حنبل وغيرهم، روى عنه أبو عبد الله الحاكم وأبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الصفار وعبد القاهر بن طاهر الفقيه وطائفة، مولده في سنة اثنتين وسبعين ومئتين، وتوفى في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وثلاثمائة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة بنيسابور. سير أعلام النبلاء ١٤٦/١٦، طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٢/٣.

(٢) الامام المحدث الثقة النحوي البارع الزاهد العابد مسند خراسان أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان، ولد سنة ثلاث وثمانين ومئتين، وارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم والعراق والجزيرة والنواحي وسمعه الكثير وطلب هو بنفسه، وكتب وتميز وبرع في العربية، وروى عن الحسن بن سفيان، وزكريا الساجي، وخلائق، وكان مقرئا، له بصر بالحديث وقدم في العبادة وكان المسجد فراشه ثلاثين سنة ومناقبه جمة رحمه الله، توفي في ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة وله ثلاث وتسعون سنة. سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٦، العبر في خبر من غبر ١٤٨/٢.

فكيف عند ذكر الصحابة والتابعين وأتباعهم من العلماء العاملين وذكر أحاديث سيد العالمين ﷺ.(١)

هذه جملة ذكرتها على سبيل النفع، وعلى طريق الاستدلال بها من التبرك بذكر الصالحين وذكر مناقبهم وحكاياتهم، والاقتداء بهم.

والآن ننتقل إلى شخصية البحث والدراسة، إلى سيدي أبي مدين الذي شهد له بالفضل العلماء والمحدثون والأولياء وتعددت ذكر مناقبه وتواترت، وما ذكرته هو غيض من فيض ومن أراد المزيد فليستعن بالله المجيد وليطالع كتب القوم ففيها ما تقر به العيون وتستأنس به الأفئدة ويزداد به الإيمان وتتعلق به القلوب وتنشرح له الصدور.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله

---

(١) تدريب الراوي ٢/١٤١، فتح المغيث ٢/٣٣٢، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية ١/٧١، نخبة الكر للقاري ١/٧٩٤، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١/٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٤/٦٤.

الفصل الثاني: التعريف بالشيخ أبي مدين.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته

هو سيدي الإمام شعيب، يكنى بأبي مدين، ومدين اسم ولده، في بلدة بجاية(١) أنجبه، فعرف بأبي مدين، ومدين هذا هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي(٢) ببركة القرع خارج السور مما يلي

---

(١) بجاية بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس في حدود سنة أربع مائة وخمسين، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة، وكانت قاعدة ملك بني حماد، وتسمى الناصرية أيضا باسم بانيها، وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات. ينظر معجم البلدان ٣٣٩/١، الكامل في التاريخ ٢٩٣/٤، اللباب في تهذيب الأنساب ١٢١/١.

(٢) هو سيدي عبد القادر بن محمد الدشطوطي زين الدين الصالح المعمر الشيخ العفيف العارف بالله تعالى، نسبة إلى دشطوط من قرى الصعيد، وضبطه السخاوي الطشطوطي بطاءات مهملات بينهما شين معجمة وواو، ثم قال: ولكن صوابه الدشطوخي بدال مُهْملَة مَكْسُورَة وبعد الشين الْمُعْجَمَة طاء مُهْملَة وَبعد الْوَاو خاء مُعْجمَة وهي قرية من كورة البهنساوية بالصعيد.

هو المعروف بالكرامات المشهورة والكشف العام والقبول التام عند الملوك فمن سواهم، كان ضريرا حافيا مكشوف الرأس، وترجمه الحافظ السيوطي بالولاية، وألف بسببه تأليفا سماه: المنجلي في تطور الولي وهو ضمن كتابه الحاوي للفتاوي. توفي في سنة أربع وعشرين وتسعمائة. ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٨٠/١٠، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣٠٠/٤، معجم المؤلفين ٢٩٩/٥.

شرقي مصر عليه قبة عظيمة، وقبره يزار.وأما اسم والده فاختلفت كتب التراجم وغيرها في اسم والد الشيخ أبي مدين، فمنهم من قال: شعيب بن الحسين.(١)

ومنهم من قال بأنه: شعيب بن الحسن(٢) ومنهم من قال بأنه: شعيب بن حسين، بدون الألف واللام.(٣)

---

(١) ينظر المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد ص ٤١، جذوة الاقتباس في ذكر ٥٣٠/٢، من حل من الأعلام مدينة قاس نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ١٣٦/٧، التكملة لكتاب الصلة ١٣٧/٤، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص: ٢٢، العبر في خبر من غبر ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام ٣٩٨/٤١، الوافي بالوفيات ٩٥/١٦، الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٥٨/١، تاريخ قضاة الأندلس ص: ١٣٧، الوفيات لابن قنفذ ص: ٢٩٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٤٩٥/٦، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٣١٧/٨، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣٥٥/٣، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ٣٥٦/٤.

(٢) ينظر المطرب بمشاهير أولياء المغرب ص ٦٤، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢١٢/٢، معجم المؤلفين ٣٠٢/٤، الأعلام للزركلي ١٦٦/٣، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣٥٥/٣، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٨١/١، معجم المطبوعات العربية والمعربة ٣٤٥/١، صلة الخلف بموصول السلف ص٤٧٠، تاريخ الجزائر الثقافي ٦٤/١، معجم الشعراء العرب ص:٤١٨، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ٣٥٦/٤، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٢٠٨/٥، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص: ١٩٣.

(٣) ينظر أنس الفقير وعز الحقير ص ٤٥، سير أعلام النبلاء ٢١٩/٢١، طبقات الأولياء ص: ٤٣٧، كنوز الذهب في تاريخ حلب ٣٠٨/١، تاريخ الجزائر الثقافي ٦٤/٤، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ٤٣٦/٨.

وأما مولده فقد ولد الشيخ أبو مدين بناحية إشبيلية(١)، ومن حصن يقال له: منتوجب، وقيل: منتوجيني، وقيل: قطنيانة سنة خمسمائة هـ ، وهي قرية تبعد ثمانية أميال عن إشبيلية على شاطئ الوادي الكبير.

أما عن نشأته فيقول الشيخ الفاضل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله: إن الفطر الإنسانية تختلف اختلافا شديدا وقد تنشأ هذه الفطر التي كتب الله لها السعادة في الدنيا والآخرة في بيئة تصرفها زمنا طويلا أو قصيرا عن طريق الله، لكنها تتمرد يوما ما على البيئة والظروف التي تحيط بها وتنتفض انتفاضة جذرية عميقة، فإذا هي بعيدة بعدا هائلا عن الظلمة والضلال، وإذا هي في واد من النور والضياء، ومن هذه الفطر المهيأة فطرة العارف بالله أبي مدين، توفي والده في عهد مبكر من حياة شيخنا، وكان صاحب غنم ولم تكن الغنم من الكثرة بحيث تسمح باستئجار راع لها...الخ

---

(١) إشبيلية بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، مدينة كبيرة عظيمة، من أمهات البلدان بالأندلس، وتسمى حمص أيضا، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وكانت قديما قاعدة ملك الروم وبها كان كرسيهم الأعظم وأما الآن فهو بطليطلة، وإشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، وفي كورتها مدن وأقاليم ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، وبلاد الأندلس بلاد ذات مدن وقرى وريف، افتتحها موسى بن نصير، وكان ذا رأي وتدبير وحزم و خبرة بالحرب. ينظر نفح الطيب ١٥٦/١، معجم البلدان ١٩٥/١، معجم البلدان ٣٠٤/٢، الأنساب ١٦١/١، المسالك والممالك للبكري ٩٠٢/٢، البداية والنهاية ١٧١/٩.

ولنترك الشيخ أبا مدين يحدثنا عن نفسه وكيف كان مبدأ أمره، قال رحمه الله: كنت بالأندلس يتيما فجعلني إخوتي راعيا لهم لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلي أو من يقرأ أعجبني ودنوت منه، وأجد في نفسي غما لأني لا أحفظ شيئا من القرآن ولا أعرف كيف أصلي، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة، ففررت، فلحقني أخي وبيده حربة، وقال لي: والله لئن لم ترجع لأقتلنك، فرجعت وأقمت قليلا، ثم قويت عزيمتي على الفرار ليلا، فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخر، فأدركني أخي بعد طلوع الفجر فسل سيفه علي وقال لي: والله لأقتلنك وأستريح منك، فعلاني بسيفه ليضربني، فتلقيته بعود كان بيدي فانكسر سيفه وتطاير قطعا، فلما رأى ذلك قال لي: يا أخي اذهب حيث شئت.

وهذه كرامة أخرى لسيدي أبي مدين غير الكرامة السابقة التي علم فيها بقرب أجله وأنه يموت قريبا في طريقه، وأيضا لنتأمل عزيمة الشيخ في الفرار إلى الله تعالى، وكيف أنه كان يريد من كل قلبه وجوارحه أن يفر إلى الله تعالى، فهو لم يفر لشيء إلا أنه اغتم لقلة ولعدم معرفته بكتاب الله تعالى، وأيضا انظر إلى تأمله وإجابه للصلاة ولمن يصلي، هذه بداية مشرقة صحيحة لشاب نشأ في عبادة الله تعالى.

وأما عن طابع حياته: فلقد كانت حياة سيدي أبي مدين الغوث تتسم بالبساطة في أيام الصبا والشباب، لكن مع مرور الوقت أحس بأن هذه الحرف تمنعه عن تعلم العلم واكتساب المعرفة، وأداء الفرائض، والعبادات، والتقرب من الله على الوجه الأكمل، فقرر الفرار من الخَلق إلى خالق الخَلق،

وهو لا يعرف أنه في مرحلة التَّهيئة، والاصطفاء للولاية، وهذا ظاهر جلي في قوله السابق: فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة، وبما أن شعار الصوفية يتمحور حول العلم، فإن الارتقاء في مدارج السلوك الصوفي، واللِّحاق بمنازل السائرين إلى الله، لا يدركان إلا بالعلم والمعرفة، لذلك كان شغل سيدي أبي مدين الشاغل، هو تحقيق ذلك، بداية من طلب العلم، وصُحبة رجاله وشيوخه، إلى التدرج في مقامات التصوف، لذلك دأب هذا الشيخ الجليل، على طلب العلم والمعرفة، حيث توجه إلى مدينة فاس، مربى العلم والعلماء، والمعرفة والصلحاء.

ويستطرد الشيخ في الحديث عن نفسه فيقول: فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة(١)، ثم ذهبت إلى سبتة(٢)، فكنت أجيرا للصيادين، ثم ذهبت إلى

---

(١) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة، وليس لها سور وهي على ظهر جبل وماؤها في قناة يجري إليهم من موضع لا يعرفون منبعه على الحقيقة وهي خصبة، وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد، والنسبة إليها طنجي بفتح الطاء المهملة وسكون النون. معجم البلدان ٤/٤٣، الأنساب ٤/٧٥.

(٢) سبتة: المشهور بفتح أوله، وقيل: بكسر أوله، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر،وتقع على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي المنتهي إلى مدينة صور من أرض الشام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة وهي مدينة حصينة، والنسب إليها بكسرها مثل بصرة وبصري والبحر يحيط بسبتة شرقا وجوفا وقبلة، وليس لها إلى البر غير طريق واحدة ==

مراكش فدخلتها وأدخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد، فكانوا يأكلون عطائي، ولا يعطونني منه إلا اليسير، فقيل لي: إن رأيت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس(١)، فتوجهت إليها ولزمت جامعها، وتعلمت الوضوء والصلاة، وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين، فلا أثبت على شيء من كلامهم، إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي، فسألت من هو؟ فقيل لي: أبو الحسن بن حرزهم (٢) ، فأخبرته أني لا أحفظ إلا ما سمعته منه

==من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعوه، وفيها آثار كثيرة، وبينها وبين فاس عشرة أيام، وقد نسب إليها جماعة من أعيان أهل العلم. معجم البلدان ١٨٢/٣، الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ٣٠٣، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ص: ٨٦.

(١) فاس بالسين المهملة مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيونا تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط مستنبط على الأرض منبجس من عيون في غربيها، وهي منقسمة قسمين، وهي مدينتان مسورتان، يقال لإحداهما عدوة القروبيين وللأخرى عدوة الأندلسيين، وهي من أكثر بلاد المغرب ثمارا وخيرا وأكثر بلاد المغرب يهودا، منها يختلفون إلى سائر الآفاق. معجم البلدان ٢٣٠/٤، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٩.

(٢) هو الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وهو من أهل مدينة فاس، وبها توفي أخريات شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة وعنه أخذ الشيخ أبو مدين ==

خاصة، فقال لي: هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان، وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب.

ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات أبي يعزى(١)، فذهبت إليه في جماعة توجهت لزيارته فلما وصلنا جبل ايروجان ودخلنا على أبي يعزى أقبل على القوم دوني. فلما أحضر الطعام منعني من الأكل، فقعدت في ركن الدار، فكلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهزني، فأقمت علي تلك الحال ثلاثة أيام وقد أجهدني الجوع ونالني الذل، فلما انقضت ثلاثة أيام قام أبو يعزي من مكانه، فأتيت إلى ذلك ومرغت وجهى فيه فلما رفعت رأسى نظرت فلم أر شيئا وصرت أعمى. فبقيت أبكى طوال ليلتي.

==رضي الله عنهما. وسيأتي مزيد بيان له في مبحث شيوخ أبي مدين. التكملة لكتاب الصلة ٢٤٣/٣، الوفيات لابن قنفذ ص ٩، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠٦/٢.

(١) وحيد عصره وأعجوبة دهره الولي العارف الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون، وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقيل إحدى وستين توفي وقد نيف على المائة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل إيرجان في أوائل شوال من السنة المذكورة كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول رأيت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، وكان يتعيش من نبات الأرض ولا يشارك الناس في معايشهم، وكان طويلا رقيقا أسود اللون وكان إذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع يتعبد فيها فإذا قرب الفجر أعلم أصحابه به وأحواله رضي الله عنه وكراماته كثيرة وسيأتي مزيد بيان لشيخنا في مشايخ وأساتذة سيدي أبي مدين. الوفيات ٢٨٤/١، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢١٠/٢.

فلما أصبحت استدعاني وقال لي: قرب يا أندلسي فدنوت منه، فمسح بيده على عيني فأبصرت، ثم مسح بيده على صدري وقال للحاضرين: هذا يكون له شأن عظيم، أو قال كلاما هذا معناه، فأذن لي في الانصراف، وقال لي : ستلقى في طريقك أسدا فلا يروعنك، فإن غلب عليك خوفه قل له بحرمة يلنور(١) إلا ما انصرفت عني، وسيلقاك ثلاثة من اللصوص عند شجرة وستعظهم فيتوب اثنان منهم على يدك ويرجع الثالث فيقتل ويصلب على تلك الشجرة، فودعته وانصرفت.

فاعترضني أسد في الطريق فأقسمت عليه بأبي يعزى وتنحى عن الطريق، وجزت ولم يزل يتبعني إلى أن خرجت، فرجع عني، ثم أتيت على ثلاثة من اللصوص وهم جلوس إلى أصل شجرة فقاموا إلي فوعظتهم فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم فانصرفا، وبقي الثالث إلى أصل الشجرة فقعد عندها فسمع به الوالي فبعث إليه من ضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة. ولم أزل سائرا إلى أن وصلت بجاية فأقمت بها(٢)

وقال أيضا عن نفسه: كنت بقطنيانة فأردت التخلي عن الدنيا فسرت قاصدا نحو المغرب ثلاثة أيام أو أربعة أيام، فلاحت لي كدية على البحر وعليها

---

(١) هو سيدي أبي يعزى وتقدمت ترجمته.

(٢) التشوف إلى رجال التصوف ص ٢٥٩ وما بعدها، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١٣٨/٧، أنس الفقير وعز الحقير ص ٤٩، المعزى في مناقب أبي يعزى ص ٦٧ وما بعدها، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ١٩٤ وما بعدها، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ص ٢٢ وما بعدها.

خيمة، فخرج إلي منها شيخ وليس عليه إلا ما يستر به عورته، فنظر إلي وظن أني أسير فررت من أرض الروم، فسألني عن شأني، فأخبرته فأخذ حبلا وربط في طرفه مسمارا فرمى به في البحر فأخرج حوتا فشواه لي فأكلته، فأقمت عنده ثلاثة أيام كلما جعت رمى بالحبل والمسمار في البحر فيخرج به حوتا فيشويه وآكله، ثم بعد ذلك قال لي: أراك تروم أمرا فارجع إلى الحاضرة فإن الله لا يعبد إلا بالعلم، فرجعت إلى إشبيلية ثم ذهبت إلى شريش(١) ومن شريش إلى الجزيرة الخضراء فجزت البحر إلى سبتة وذهبت إلى فاس فلقيت بها الأشياخ، فكنت أقيم بفاس وآخذ ءاية من القرآن وحديثا فأخرج إلى موضع خال متصل بالساحل فإذا فتح لي في العمل بالآية والحديث عدت إلى فاس فأخذت ءاية وحديثا، وكذلك فأعمل عليهما، وكان الموضع الذي ءاوي إليه في الجبل عمرانا طرأ عليه الخراب فلم يبق من بنيانه شيء قائم إلا مقصورة المسجد خاصة فكنت إذا قعدت فيها تأوي إلي غزالة فلا أدري هل كانت تأوي إلى أهل ذلك المكان فرحلوا وبقيت تأنس بالمكان أو تأوي إلي فكانت تأتيني متى جئت إلى ذلك المكان فتشم من قرني إلى قدمي

---

(١) شَرِيش: أوله مثل آخره، بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت: مدينة كبيرة من كورة شذونة بالأندلس وهي قاعدة هذه الكورة، واليوم يسمونها شرش. ، وكورة شذونة كورة جليلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة عذبة التربة، تغيض مياهها، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ست وثلاثين ومائة. وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام. معجم البلدان ٣/٣٤٠، الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ٣٣٩.

ثم تريض أمامي فذهبت يوم الخميس إلى فاس وبت بها ليلة الجمعة ....الخ(١)

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الشيخ رحمه الله تعالى ونفعنا به – منذ نعومة أظفاره – كان محوطا برعاية الله وحفظه، كما كان موفقا ومملوءا بالبركات والكرامات، عُرف بالجد والمثابرة والكد، ورغم اليُتم والحاجة، اللذان عاشهما، فقد خرج من بلاده صبيا ناشدا باحثا عن ضالة لم يُدرك كُنهها ولا سرها إلا بعد سنوات، فكانت أول محطة في سياحته لطلب العلم، مدينة طنجة، ثم سبتة، ومراكش، وبعدها فاس، حيث درس وتعلم هناك، ثم توجه إلى المشرق، وبعدها سكن ببجاية، فكان له شأن عظيم، أينما حل وارتحل.

وقد أراد الله به خيرا فجمع له في زمانه من لزمه واستفاد منه، إما برؤيته لكرامات المشايخ أو بملازمته لهم، وأيضا قد ذكر عن نفسه فتح الله عليه في تعليمه الآيات والأحاديث والعمل بها، فمن الله عليه بالعلوم والأسرار مما قد لا نجده في الكتب لأن عطاءات الله لا تتناهى لأوليائه وكل منهم له منهل ومشرب. وصدق الله إذ يقول: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ الله"(٢) فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فرحم الله الشيخ ورضي عنه.

---

(١) التشوف ص ٢٦٠ وما بعدها، طبقات الأولياء ص: ٤٣٨، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب١٣٧/٧.
تاريخ الجزائر الثقافي ٦٥/٤.

(٢) من الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة .

وأما وفاته فإنه لما اشتهر أمر الشيخ أبى مدين ببجاية سعي به عند خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش(١)، فأمر السلطان بطلوعه من بجاية إلى مراكش، وكتب إلى والي بجاية بالوصية عليه وأن يحمل خير محمل، فأخذ الشيخ أبو مدين في السفر، وشق ذلك على كثير من أصحابه وعز عليهم فراقه فقال لهم: لا عليكم، شعيب شيخ كبير ضعيف لا قدرة له على المشي، ومنيته قدرت بغير هذا المكان ولابد من الوصول إلى موضع المنية، فقيض الله لي من يحملني إلى مكان الدفن برفق، وارتحل به إلى أن وصل إلى تلمسان(٢)، ونزل بها بالموضع الذي يقال له العباد وقال لرفقائه: لا بأس بالنوم في هذا

---

(١) مراكش بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وهي كثيرة الجنان والبساتين ويخرق خارجا الخلجان والسواقي، ويأتيها الارزاق من الأقطار والبوادي، مع ما فيها من جني الأشجار والكروم التي يتحدث بطيبها في الآفاق. والمدينة ذات قصور ومبان محكمة. معجم البلدان ٩٤/٥، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٣.

(٢) تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، قرية قديمة بالمغرب وقاعدتها الأوسط، فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم، وقيل إنه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن، وبها مسجد يقال له مسجد الجدار، يقصده الناس للزيارة، وينسب إليها قوم من العلماء الأفاضل. معجم البلدان ٤٤/٢، آثار البلاد وأخبار العباد ص: ٦٨،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص: ٨٦،الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ١٣٥.

المكان، ووافته المنية بهذا المكان رحمه الله تعالى، فشرفت به تلك البقاع. وهذا من كرامات الشيخ رحمه الله تعالى.

قال أبو علي الصواف -رحمه الله- لما احتضر الشيخ أبو مدين استحييت أن أقول له أوصني، فأتيته بغيري وقلت له : هذا فلان فأوصه، فقال: سبحانه الله! وهل كان عمري كله معكم إلا وصية؟ وأي وصية أبلغ من مشاهدة الحال؟ وكان آخر ما سمعته منه عند النزع قوله: الله الله الله، حتى رق صوته، وقال بعضهم: آخر ما سمع منه الله الحق، وقال بعضهم: آخر ما سمع منه: الله الحي. وأيا ما كان فهذه خاتمة حسنى ومرتبة عليا، فتوفي بتلمسان، في نحو التسعين وخمسمائة.(١) وقيل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة(٢) وقيل سنة أربع وتسعين وخمسمائة(٣) مع الأخذ في الاعتبار في أن بعض من ترجم للشيخ لم يذكر تاريخ مولده، والبعض الآخر لم يذكر له تاريخ وفاة، واكتفيت هنا بذكر المصادر التي عنيت بذكر تاريخ مولده أو وفاته.

---

(١) ينظر جذوة الاقتباس ٥٣٠/٢، سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٢١، التكملة لكتاب الصلة ١٣٨/٤، تاريخ الجزائر الثقافي ٦٤/٤، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص: ٢٩، العبر في خبر من غبر ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام ٣٩٩/٤١، الوافي بالوفيات ٩٥/١٦.

(٢) ينظر طبقات الأولياء ص: ٤٣٨

(٣) ينظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ١٤٢/٧ الوفيات لابن قنفذ ص: ٢٩٧، الأعلام للزركلي ١٦٦/٣.

المبحث الثاني : ثناء العلماء عليه

من خلال قراءتي في الكتب التي وقفت عليها في ترجمة سيدي أبي مدين أو من كان له ذكر فيها وجدت ثناء عظيما يليق به من حيث إنه من أكابر أولياء الله، وها أنا ذا أذكرها:

قال صاحب المستفاد : ومنهم الشيخ شيخ الشيوخ أبو مدين شعيب بن الحسين رحمه الله تعالى كان كبير الشأن لم يكن في وقته نظير له في الزهد والورع والصدق وكان عاقلا كيسا متحريا في علوم القوم سالم الصدر مقبلا على كل من يأتيه، أدركته وصحبته طول إقامتي بفاس، كان رحمه الله كثير الأدب بعيد الغضب، جمع العفة والوقار وسمة المتقين الأبرار، مقبول القول معظما في القلوب، لم أر مجلسا أنفع من مجلسه، وفي أول اتصالي به أتيته في منزله فوجدته وحده فأدخلني في البيت فأخرجت كتاب الرسالة للقشيري فقلت له: يا سيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب فقال لي: أنت صغير ويطول عليك الكتاب لكن اعمل بحديث واحد وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به، فقلت له: وما ذاك؟ فقال لي: قال النبي ﷺ: "حب الدنيا رأس كل خطيئة فازهد فيها واتركها تنل فضيلة"(١) ....

---

(١) هذا الأثر وجدته في تاريخ دمشق أخرجه ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي قال: حب الدنيا رأس الخطايا، وعند أبي نعيم عند ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى بن مريم عليه السلام: "حب الدنيا رأس كل خطيئة والمال فيه داء كثير، قيل: يا روح الله ما داؤه؟ قال: لا يؤدي حقه، قالوا: فان أدى حقه؟ قال: لا يسلم ==

هذا الحديث إن عملت به كفاك، فقمت . (١)

وقال صاحب جذوة الاقتباس: الشيخ الأندلسي العارف الواصل المحقق القطب، فقيه الأولياء وعمدة الأتقياء، كان زاهدا في الدنيا، عارفا بالله،

==من الفخر والخيلاء، قالوا: فان سلم من الفخر والخيلاء؟ قال: يشغله استصلاحه عن ذكر الله، ورواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن الى الحسن البصري رفعه مرسلا.

وجاء في مرقاة المفاتيح عن الحسن مرسلا "حب الدنيا رأس كل خطيئة" وقال: قال السيوطي رحمه الله: وقد عد الحديث في الموضوعات، وتعقبه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن والإسناد حسن إليه وقد رواه الديلمي من حديث علي بن أبي طالب في مسنده ولم يذكر له إسنادا.

وقال صاحب مرقاة المفاتيح في موضع آخر: والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلا، كما أن ترك الدنيا رأس كل عبادة، والسبب في ذلك أن محب الدنيا ولو اشتغل بأمور الدين تكون أعماله مدخولة بأغراض فاسدة، وتارك الدنيا ولو اشتغل بأمر دنيوي يكون له مطمح أخروي، ولذا قال بعض العارفين من أرباب اليقين: من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين.

تاريخ مدينة دمشق ٤٠٢/٢٠، مرقاة المفاتيح ٣٥١/٩، ٤٠٤/٩ذم الدنيا ص: ١٧٠ ح رقم ٤١٦ عن مالك بن دينار، حلية الأولياء ٣٨٨/٦، سالمغني عن حمل الأسفار ٨٧٤/٢، المقاصد الحسنة ٢٩٦/١، المقاصد الحسنة ٢٩٧/١، كشف الخفاء ٤١٢/١، شعب الإيمان ٧٤/١٣ ح رقم ٩٩٧٤.

(١) ينظر المستفاد. من مناقب العباد ص ٤١ وما بعدها.

وكراماته لا تحصى، وكان مقامه التوكل، وكان لا يجارى فيه، وكان له قبض وبسط، فبسطه العلم وقبضه بالمراقبة.(١)

وقيل : شيخ أهل المغرب الزاهد، كان وارثا على الحقيقة بل هو سلطان الوارثين(٢)وقيل عنه: كان من الفقهاء المعتبرين والزهاد المعروفين(٣) وجاء عنه أيضا: ورغم نسبة الكثير من الكرامات إلى أبي مدين، فإنه كان قبل كل شيء عالما صالحا، وموحدا زاهدا، ومربيا ناجحا(٤) وقيل: أحد أعاظم أئمة الطريق المجمع على جلالتهم وولايتهم الكبرى(٥)، وقيل أيضا: الزاهد شيخ أهل المغرب كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك.(٦)

وقال صاحب نفح الطيب: وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخارا دفن ولي الله سيدي أبي مدين بها، شيخ المشايخ، وسيد العارفين، وقدوة السالكين(٧) وقال صاحب كتاب النجم الثاقب: سيد

---

(١) جذوة الاقتباس ٢/٥٣٠.

(٢) طبقات الأولياء ص: ٤٣٧.

(٣) ينظر كنوز الذهب ١/٣٠٨.

(٤) ينظر تاريخ الجزائر الثقافي ٤/٦٤.

(٥) ينظر جامع كرامات الأنبياء للنبهاني ٢/١٢٥.

(٦) ينظر سير أعلام النبلاء ٢١/٢١٩، التكملة لكتاب الصلة ٤/١٣٨، العبر في خبر من غبر ٣/١٠٣، الوافي بالوفيات ١٦/٩٥، شذرات الذهب ٦/٤٩٥.

(٧) ينظر نفح الطيب ٧/١٣٦.

العارفين وقدوة السالكين، كان رحمه الله فردا من أفراد الرجال، وصدرا من صدور الأولياء الأبدال، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، ،أنار به معالم الطريقة، وأقامه ركنا من أركان الوجود، وأظهره في البلاد المغربية هاديا وداعيا للحق، فقصد بالزيارة من جميع الأقطار، واشتهر بشيخ المشايخ في جميع الأمصار، ذكر التادلي(١) وغيره من المعتنين بأخباره: أن سيدي أبا مدين خرج على يده ألف شيخ من أولياء الله ظهرت لهم الكرامات وعرفوا بإجابة الدعوات. ثم قال صاحب النجم الثاقب: وقال أبو الصبر أيوب كبير مشايخ وقته: كان سيدي أبا مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى، فقد خاض في الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرارا، وخصوصا مقام التوكل، لا يشق غباره، ولا تجهل آثاره، وقال التادلي: كان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم الله له بذلك.(٢) وقيل أيضا عنه: الشيخ الفقيه المحقق، الواصل القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد، سيدي أبو مدين، فتح الله عليه بمواهب قلبية، وأسرار ربانية، استفادها بالتوجه والعمل،

---

(١) يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن التادلي أبو يعقوب بن الزيات، إمام في اللغة والنحو والأدب، له شرح المقامات الحريرية سماه نهاية المقامات في دراية المقامات وهو أحسن الشروح، مات بعد الأربعين والخمسمئة. البلغة ٢٤٧/١، بغية الوعاة ٣٦٣/٢.

(٢) النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب ص ٣٢٠ وما بعدها، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ١٩٣ وما بعدها، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢١٢/٢.

وارتقى إلى غاية ما يؤمل؛ كان الشيخ أبو يعزى رحمه الله تعالى، يثني عليه ويشكره وكان ممن يتبرك بثنائه لعظم مكانته، وجلالة قدره.(١) وقيل أيضا: الولي الشهير كان أحد الأعلام المنقطعي القرين في طريق كتاب الله، وأولي الهداية الحقة، فذّ، شهير، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى الأمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية مدفنه بما يقضى منه بالعجب، وأحد أعلام المشاهير فضلا وصلاحا.(٢)

وأيضا جاء في وصفه: الشيخ الكبير قدوة العارفين وأستاذ المحققين، صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة، والمقامات العلية والأحوال السنية، والهمم السامية والبركات النامية، والمعارف الجليلة والمواهب الجزيلة، والقدم الراسخ والمنهج المحمود، والباع الطويل في التصرف النافذ في الوجود، والمظهر العظيم والمحل الكريم قدس الله روحه، أحد أركان هذا الشأن وأجمل الأكابر الأعيان، أظهر الله على يديه عجائب الآيات، ونطقه بفنون الحكم وكشف له الأسرار المغيبات، ورزقه القبول العظيم التام، والهيبة الوافرة في قلوب الأنام، ونشر ذكره في الآفاق وانعقد الإجماع على فضله، واجتمع عنده جمع كثير من الفقهاء والصلحاء، وتخرج به جماعة من أكابر المشايخ الأصفياء، وانتهى إليه عالم عظيم من الصلحاء وتأدب بين يديه المشايخ

---

(١) ينظر عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص: ٢٣، شذرات الذهب ٦/٤٩٥..

(٢) ينظر الإحاطة في أخبار غرناطة ١/٢٥٧.

والعلماء، وله كلام نفيس على لسان أهل الحقائق، وكرامات عظام باهرات وخوارق.[1]

من خلال ما سبق يتبين لنا أن شيخنا الذي وصفه الإمام الدكتور عبد الحليم محمود في عنوان كتابه فقال فيه: شيخ الشيوخ الغوث، وهذ لقب استحقه شيخنا بجدارة، وكيف لا، وما ذكرته مما تقدم هو بعض من كل وغيض من فيض في مناقب وألقاب لسيدنا، ومن ثناء العلماء عليه يتضح أن هذه الشخصية فريدة من نوعها تستحق الدراسة والتأمل والاقتداء، وما ذلك إلا لعلمه وجده واجتهاده في العبادة والنسك كما تقدم، فلذلك انكب الناس عليه، وتخرج العلماء على يديه، بل والأولياء تعلموا من فيض علمه وإلى الآن، وهذا هو التصوف الحق الذي بني على علم وعبادة ومجاهدة وفتح من الله.

المبحث الثالث: من شيوخه وتلامذته

جاء في كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى: اعلم أن الشيخ أبا مدين صحب شيخه سيدي أبا يعزى واعتمده وعول عليه وصحب غيره أيضا، وهم جماعة من العلماء والأولياء وأخذ العلوم الشرعية عنهم، ثم قال: واعلم أن سيدي أبا مدين له من الشيوخ أبو يعزى قدوة وتصوفا وخرقة وصحبة، وأبو عبد الله الدقاق، وأبو الحسن السلوى تصوفا وصحبة فقط، وأبو الحسن بن حرازم،

---

(١) ينظر مرآة الجنان ٣/٣٥٥.

وأبو الحسن بن غالب، وابن الصباغ في العلوم الشرعية ورواية الحديث..... الخ (١)

ولست هنا بصدد ذكر وحصر لكل مشايخ الشيخ الذين ذكرهم صاحب المعزى أو غيره بل أذكر بعضا مما ذكره وبعضا من عند غيره، وأسأل الله أن أذكر هنا ما به تحصل به الفائدة وتتم به البركة، ويحصل به المقصود لهذا البحث الذي يطيب بذكر شيخنا وبذكر أولياء الله رضوان الله عليهم، وما به يتبين عظم وقدر شيخنا وقدر مشايخه. فأبدأ في ذلك مستعينا بالله بالحديث عن

سيدي أبي يعزى :

الولي العارف بالله الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون
من أعظم وأجل المشايخ الذين تركوا أثرا طيبا وحافلا وعظيما وبالغا في حياة شيخنا هو شيخه الإمام أبو يعزى، هذا الشيخ الذي انتهت إليه تربية الصادقين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها، وأعلام زهادها، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون .
وقد تقدم جزء من ترجمته عند ذكر نشأة الشيخ أبي مدين، وذكرت جزءا من بدء علاقة الشيخ بشيخه أبي يعزى والتي كان منها تربيته له وتعليمه، وسماع الشيخ عن كرامات شيخه أبي يعزى فتوجه إليه مباشرة .
وحسبي وحسبك إن أردنا الاطلاع على جزء كبير من مناقب الشيخ ومن علاقته بتلميذه فلنطالع الكتب التي عنيت بذلك ومنها: كتاب المعزى في

---

(١) المعزى في مناقب أبي يعزى ص ١٨٦.

مناقب أبي يعزى، وغيره من الكتب التي عنيت بذكر ترجمته ككتب الطبقات، ومما جاء فيها وفي غيرها :

كان الشيخ أبو يعزى ﷺ يثني على الشيخ أبي مدين ثناء جميلا، ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل ويشكره، وكان الشيخ أبو يعزى ممن يتبرك بثنائه لعظم خطره، وجلالة قدره.

وقال صاحب أنس الفقير: ومن أشياخ الشيخ أبي مدين ﷺ الشيخ أبو يعزى وكان من ءايات الله تعالى وأمره كله عجيب ونقلت كراماته نقل التواتر، حدث عن البحر ولا حرج.

ويقول صاحب عنوان الدراية: رأيت من كلام الشيخ أبي مدين ﷺ أنه قال: طالعت أخبار الأولياء من عهد أويس القرني إلى زمننا، فما رأيت مثل الشيخ أبي يعزى، وطالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الإحياء.

وكان يقول الشيخ أبو مدين: كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا ﷺ، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد(١) عن سري السقطي

---

(١) الإمام القدوة المحدث أبو القاسم شيخ الصوفية: الجنيد بن محمد الخزاز، كان كلامه بالنصوص مربوطا وبيانه بالأدلة مبسوطا، وكان أَبوهُ يَبِيع الزّجاج فَلذَلِك كَانَ يُقَال لَهُ القواريري، أَصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، وَكَانَ فَقِيها تفقه على أبي ثَوْر وَكَانَ يُفْتِي فِي حلقته، وَصَحب السّري السَّقطِي والْحَارث المحاسبي وَمُحَمّد بن القصاب الْبَغْدَادِيّ وَغَيرهم وَهُوَ من أَئِمَّة الْقَوْم وسادتهم مَقْبُول على جَمِيع الْأَلْسِنَة، توفّي سنة سبع وَتِسْعين وَمِائَتَيْنِ يَوْم السبت وَقيل توفّي فِي آخر سَاعَة من يَوْم الْجُمُعَة وَدفن يَوْم السبت، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة. الرسالة القشيرية==

عن حبيب العجمي(١) بالسند إلى رب العزة جل جلاله. قال: وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا، فقال لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى: قد ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ولكنا نشاهده يلمس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيبرأن ونحن نرى أن لمسهن حرام فإن تكلمنا في هذا هلكنا وإن سكتنا حرنا. فقلت لهم: أرأيتم لو أن ابنة أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج ولم يوجد من يعانيه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألستم تجيزون ذلك مع أن دواءه مظنون ودواء أبي يعزى أنتم على يقين منه؟ فبلغ كلامي أبي يعزى فاستحسنه، وفي رواية: فكان يقول: إذا رأيتم شعيبا فقولوا له: عسى أن يعتقني، كأنه استحسن جوابي عنه.

وقال الشيخ أبو مدين ﷺ: وزرته مرة في الصحراء، وحوله الأسد والوحوش والطير تشاوره على أحوالها، وكان الوقت وقت غلاء فكان يقول لذلك الوحش: اذهب إلى مكان كذا وكذا فهناك قوتك، ويقول للطير مثل ذلك فتنقاد

==ص ٨٦، سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢٠، حلية الأولياء ٢٥٥/١٠، طبقات الصوفية للسلمي ص: ١٢٩، تاريخ بغداد ٢٤٩/٧.

(١) حبيب العجمي بن محمد، زاهد أهل البصرة وعابدهم أبو محمد روى عن الحسن البصري وشهر بن حوشب والفرزدق شيئا يسيرا، وعنه: حماد بن سلمة وأبو عوانة وداود الطائي وآخرون، وكان مجاب الدعوة، تؤثر عنه كرامات وأحوال، وكان له دنيا فوقعت موعظة الحسن في قلبه فتصدق بأربعين ألفا وقنع باليسير وعبد الله حتى أتاه اليقين. سير أعلام النبلاء ١٤٣/٦، لسان الميزان ١٩٣/٧، تاريخ دمشق ٤٥/١٢، تهذيب الكمال ٣٨٩/٥.

لأمره، ثم قال: يا شعيب إن هذه الوحوش والطيور أحبت جواري فتحملت ألم الجوع لأجلي.(١)

قلت: وما مر من قصص وخوارق للعادات فتلك هي الكرامات التي يمن الله تعالى بها على أوليائه وأحبابه ممن اصطفاهم الله، وقد ذكرت كتب التراجم والطبقات من مناقب الشيخ ما به تثبت ولايته عند من يعرفه ومن لم يعرفه ولم يقرأ عنه، وقد أثبتت النصوص المتقدمة أيضا تلمذة الشيخ أبي مدين على شيخه أبي يعزى وانتفاعه به وتبركه ودفاعه عنه وتردده عليه. نفعنا الله بهم.

أبو الحسن بن حرزهم

هو الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم بكسر الحاء وسكون الراء المهملة، ومشهور عنه أيضا ابن حرازم، ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وهو من أهل مدينة فاس ولد ونشأ بها، وبها توفي أخريات شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وكان من كبار الفقهاء بفاس، وكان من أهل العناية والرواية ويغلب عليه الزهد والعبادة والتصوف، دخل إشبيلية وغيرها، وأخذ عنه جماعة

(١) ينظر التشوف ص ١٧٣، ٢٦٢، أنس الفقير وعز الحقير ص ٢١، عنوان الدراية ص ٢٢، نفح الطيب ١٣٩/٧، الطبقات الكبرى للشعراني ص ٢٢٣، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢١٠/٢، المطرب ص ٦٥.

غير الشيخ أبي مدين، له كرامات وفراسات، وكان والده من كبار الصالحين وكذلك أخوه.(١)

ويعتبر الشيخ أبو الحسن أول من فتق فنون المعرفة في قلب الشيخ أبي مدين، والسر في ذلك ما ذكرته في نشأة الشيخ عندما قال الشيخ أبو مدين: وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين، فلا أثبت على شيء من كلامهم، إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي، فسألت من هو؟ فقيل لي: أبو الحسن بن حرزهم، فأخبرته أني لا أحفظ إلا ما سمعته منه خاصة، فقال لي: هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان، وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب.(٢)

وسمع الشيخ أبو مدين من شيخه أبي الحسن علوما ومعارفا، يقول الشيخ أبو مدين: لما قدمت فاسا لقيت بها الأشياخ فسمعت رعاية المحاسبي(٣)

(١) ينظر التشوف ص ١٣٧، التكملة لكتاب الصلة ٢٤٣/٣، مرهم العلل ص ٤٣، الوفيات لابن قنفذ ص ٢٨٣، أنس الفقير ص ١٢، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠٦/٢، شيح الشيوخ أبو مدين ص ٣٢.

(٢) ينظر التشوف ص ٢٦٠، أبو مدين الغوث ص ٣٢.

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي أبو عبدالله الزاهد المشهور، شيخ الجنيد، وسمي المحاسبي لأقوال منها: لأنه كان يحاسب نفسه، وقيل: لأنه كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر، وهو صاحب التصانيف المشهورة، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، قال عنه القشيري: كان عديم النظير في زمانه علما وورعا ومعاملة وحال. وهو أستاذ أكثر البغداديين وهو من أهل البصرة. مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين. ينظر الرسالة القشيرية ص ٧٢، حلية الأولياء=

على أبي الحسن بن حرزهم.

وكتاب الرعاية من كتب التذكير بالله النفسية وهو من أهم الكتب التي ألفه المحاسبي حتى لقد عرف به المحاسبي وقد وصل فيه المحاسبي من التحليل النفسي حدا لا يكاد يجارى، ودرس الشيخ أبو مدين كتابا آخر في التذكير على الشيخ أبي الحسن هو كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وقال عنه الشيخ أبو مدين: وطالعت كتب التذكير فما رأيت مثل كتاب الإحياء.(١)

وللشيخ أبي الحسن رؤيا منامية تتعلق بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي قال عنها صاحب طبقات الشافعية الكبرى: هذا حكاية صحيحة حكاها لنا جماعة من ثقات مشيختنا عن الشيخ العارف ولي الله ياقوت الشاذلي(٢)

=٧٣/١٠، صفة الصفوة ٣٦٧/٢، تهذيب التهذيب ١١٦/٢، تقريب التهذيب ص ١٤٥، طبقات الصوفية ص ٥٨.

(١) ينظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢١٢/٢، التشوف ص ٢٦١، عنوان الدراية ص ٢٢، أبو مدين الغوث ص ٣٧.

(٢) الشيخ ياقوت بن عبد الله الحبشي الشاذلي، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، انتفع به خلق كثير منهم الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان، قارب الثمانين، وكان أبو العباس يقول في حقه خيرا، أعتقته امرأة تعرف بزوجة الشريفي، وأستأذن أبا الحسن الشاذلي في الاقتداء به ففكر وقال: وجدت اسمك في أصحاب أصحابي، أبي العباس المرسي، فلما حج وقدم صحبه، وكان يرى نور الولاية عليه. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٧٥/٦، طبقات الأولياء ص: ٤٧٨.

عن شيخه السيد الكبير ولي الله تعالى أبي العباس المرسي(١)عن شيخه الشيخ الكبير ولي الله أبي الحسن الشاذلي(٢)رحمهم الله تعالى أجمعين.

ونقل صاحب التشوف لها سندا إلى الشيخ أبي الحسن المذكور.

وهذا نص المنام من كتاب طبقات الشافعية الكبرى: لما وقف الشيخ أبو الحسن على الإحياء تأمل فيه ثم قال: هذا بدعة مخالف للسنة، وكان شيخا

---

(١) الشيخ الإمام العالم الزاهد الكبير العارف بالله الشهير شهاب الدين أبو العباس المرسي: أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري ، قطب زمانه ورأس أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وصحبه تاج الدين بن عطاء الله، والشيخ ياقوت، قال رحمه الله يوما ونفعنا ببركته: والله لو حُجب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي مع المسلمين، وله كرامات وأحوال مشهورة عنه، وللناس فيه اعتقاد هائل لا سيما أهل مصر والإسكندرية، وقد شاع ذكره، وبعد صيته بالصلاح والزهد، مات بالإسكندرية سنة ست وثمانين وستمائة. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٥٢٣/١، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ٤٣/٢، طبقات الأولياء ص: ٤١٨، الوافي بالوفيات ١٧٣/٧، الطبقات الكبرى للشعراني ص ٢٢٣.

(٢) الشاذلي أبو الحسن: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم، المغربي الزاهد شيخ الطائفة الشاذلية، وشاذلة: قرية إفريقية قدم منها، فسكن الإسكندرية مدة، وصحبه بها جماعة، وعنه أخذ الشيخ أبو العباس المرسي، توفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجها إلى بيت الله في أوائل ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، وهو رجل كبير القدر، وسار إلى الحج فحج مرات، قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي. العبر في خبر من غبر ٢٨٢/٣، تاريخ الإسلام ٢٧٣/٤٨، الوافي بالوفيات ١٤١/٢١، طبقات الأولياء ص: ٤٥٨، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٥٢٠/١.

مطاعا في بلاد المغرب، فأمر بإحضار كل ما فيها من نسخ الإحياء، وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك، فكتب إلى النواحي وشدد في ذلك وتوعد من أخفى شيئا منه فأحضر الناس ما عندهم، واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة وكان ذلك يوم الخميس، فلما كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه فرأى في ركن المسجد نورا وإذا بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس، والإمام أبو حامد الغزالي قائم وبيده الإحياء، فقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي ﷺ فناوله كتاب الإحياء، وقال: يا رسول الله، انظر فيه فإن كان بدعة مخالفا لسنتك كما زعم، تبت إلى الله تعالى، وإن كان شيئا تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي، فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقة ورقة إلى آخره: ثم قال: "والله إن هذا شيء حسن"، ثم ناوله أبا بكر فنظر فيه كذلك ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسن، ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك ثم قال: كما قال أبوبكر، فأمر النبي ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه وضربه حد المفتري، فجرد وضرب ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله إنما فعل هذا اجتهادا في سنتك وتعظيما، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك، فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى، ومكث قريبا من الشهر متألما من الضرب، ثم سكن عنه الألم، ومكث إلى أن مات وأثر السياط على ظهره وصار ينظر كتاب الإحياء ويعظمه ويبجله أصلا أصلا .

وجاء أيضا عنه أنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ مرة أخرى بعد أن مكث خمسة وعشرين يوما وجعا من ذلك الضرب، فمسح سيدنا رسول الله ﷺ بيده الكريمة المباركة عليه فشفي قلبه وقالبه ثم نظر في الإحياء ففهمه فهما خلاف الفهم الأول ثم فتح عليه ونال من المعرفة بالله والعلم الباطن والفضل العظيم ما نال برحمة الله الكريم، وقال هو بنفسه: فتبت إلى الله تعالى مما اعتقدت وبعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة.(١)

عبد القادر الجيلاني

وعن الشيخ الفاضل عبد القادر، فحدث عن البحر في الولاية ولا حرج، ومن أراد المزيد فليراجع بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي سير أعلام النبلاء وغيرها ممن ترجم للشيخ، وقد قال ابن حجر في نزهة الألباب: الباز الأشهب ثلاثة، وذكر منهم الشيخ عبد القادر، ومعنى الباز الأشهب عند الصوفية: المتمكن في الأحوال، فلا تزحزحه الطوارق عن درجات الرجال، مع الخلق بظاهره ومع الحق بسرائره، رؤيته سنية، وهمته علية، وهو عون للخائفين وحظ للعارفين، ولكونه قطب بغداد لقب بما ذكر، وكان هو أيضا يقول:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها .... طربا وفي العلياء باز أشهب

---

(١) ينظر التشوف ص ١٣٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٨/٦ وما بعدها، مرهم العلل ص ٤٤ وما بعدها، أنس الفقير وعز الحقير ص ١٢ وما بعدها، أبو مدين الغوث ص ٣٣

فهو الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين أبو محمد: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، وكان له سمت وصمت، مولده بجيلان(١) في سنة سبعين والعجم يقولون كيلان، وقيل: إحدى وسبعين وأربعمائة، ومات سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وقد أفردت ترجمته في مجلدات، اعتنى بها الشيخ نور الدين أبو الحسن (٢) ، وله مؤلفات نافعة منها: الفتح الرباني والفيض

---

(١) جيلان: بالكسر، اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وقيل: ليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال ينسب إليها جيلاني وجيلي، والعجم يقولون كيلان، وقد فرق قوم فقيل: إذا نسب إلى البلاد قيل جيلاني، وإذا نسب إلى رجل منهم قيل: جيلي، وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم في كل فن. معجم البلدان ٢٠١/٢، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ص: ٢٩٧.

(٢) هو على بن يوسف بن حريز بن معضاد بن محمد بن أحمد القارىء المشهور بالشيخ نور الدين الشطنوفي اللخمي الشافعي، أصله من الشام من البلقاء وولد بالقاهرة في أواخر شوال سنة أربع وقيل: سبع وأربعين وستمائة، ومات بالقاهرة في تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، أخذ القراءات عن تقى الدين بن الجرائدي وزين الدين بن الجزائري وغيرهما، وكان الناس يكرمونه ويعظمونه وينسبونه إلى الصلاح وانتفع به جماعة في القراءات، وجمع مناقب الشيخ عبد القادر وسمى الكتاب: البهجة. ينظر الدرر الكامنة ٤٦٧/٤، غاية النهاية في طبقات القراء ٥٨٥/١، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص:٣٩٦.

الرحماني، الغنية الطالبي طريق الحق.(١)

وقد جاء ذكر مشيخة الشيخ عبد القادر في كتاب نفح الطيب وغيره، وذلك أنه كان قد قرر الشيخ أبو مدين الذهاب إلى الحج، فتوجه الشيخ للشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء وتعرف في عرفة بالشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من الحديث وألبسه خرقة الصوفية وأودعه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الأكابر.(٢)

أبو الحسن علي بن غالب

ومن أشياخ الشيخ أبي مدين: الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن غالب فقيه فاس الذي قرأ عليه الشيخ أبو مدين كتاب السنن للترمذي(٣)،

---

(١) ينظر طبقات الأولياء ص: ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٤٣٩/٢٠، شذرات الذهب ٤٤٢/٦، فوات الوفيات ٣٧٣/٢، المطرب ص ٦٦، نزهة الألباب في الألقاب ١٠٨/١، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ص ١١٥.

(٢) ينظر نفح الطيب ١٣٨/٧، المعزى ص ٢٦٥، المطرب ص ٦٦.

(٣) الحافظ الضرير أبو عيسى الترمذي السلمي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، مصنف الجامع وكتاب العلل تصنيف رجل عالم متقن، ولد في حدود سنة عشر ومائتين، ارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين ولم يرحل إلى مصر والشام، روى عنه أهل خراسان، وبشأن أنه ضرير فالصحيح أن ذلك كان في كبره وبعد رحلته وكتابته العلم، حدث عن قتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه ومحمود بن غيلان==

ولازمه وتفقه عليه، توفي عام ثمانية وستين وقيل في حدود التسعين وخمسمائة، وكان الأولياء يحضرون مجلسه، ومن كراماته أنه إذا أشكلت عليه مسألة علمية نظر إلى جهة من جهات البيت فيجدها مكتوبة في الجدار.

وكتاب سنن الترمذي كتاب كفيل في أن يرفع الإنسان في العلم إلى درجة رفيعة، وهو كتاب ضخم في أحاديث رسول الله ﷺ فيه نور الحديث النبوي وفيه التحري البالغ في صحة الأحاديث من الإمام الترمذي.(١)

قال صاحب جامع الأصول: قال الترمذي: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته

==وأحمد بن منيع وخلق كثير، وروى عنه أبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزي التاجر والهيثم بن كليب الشامي ومحمد بن محبوب أبو العباس وطائفة، وكان ممن يقتدى بهم في علم الحديث الثقات ويضرب به المثل في الحفظ، توفى رحمه الله في ثالث عشر من رجب سنة تسع وسبعون ومائتين بترمذ. ينظر تذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢ وما بعدها بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣ وما بعدها، طبقات الحفاظ ص ٢٨٢، تهذيب التهذيب ٣٤٤/٩، تهذيب الكمال ٢٥٠/٢٦.

(١) ينظر التشوف ص ٢٦١، أبو مدين الغوث ص ٣٧، أنس الفقير وعز الحقير ص ١٤، جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٩٤/١.

على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب، فكأنما في بيته نبي يتكلم.(١)

أبو عبد الله الدقاق

ومن مشايخه أيضا الشيخ الصالح أبو عبد الله الدقاق من أكابر الصوفية، وكان يتردد من فاس إلى سجلماسة(٢)، وكان يصرح بأنه ولي ويتكلم عن أشياء تنكر عليه، ونقل صاحب التشوف أن رجلا من جيران أبي عبد الله الدقاق كان يسمع بكراماته وفضائله فيزدريه، فنام ليلة فرأى في نومه النبي ﷺ فقال له: أرني وليا من الأولياء. فدفع له مفتاحا وقال له: "ادخل هاهنا

---

(١) ينظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ١/١٩٤، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن ص١/٣٠٣، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص: ٩٨، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٤.

(٢) بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن، وهي في وسط رمال، ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض، يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مد البصر، وأهل سجلماسة أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة وزرعهم الدخن والذرة وزرعهم على الأمطار لقلة المياه عندهم فإن لم يمطروا لم يكن لهم زرع، ومن مدينة سجلماسة قرى تعرف ببني درعة وفيها مدينة ليست بالكبيرة يقال لها تامدلت، وحولها معادن ذهب وفضة يوجد كالنبات، وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة، ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف، معجم البلدان ٣/١٩٢، البلدان لليعقوبي ص: ١٩٨.

فكل بيت تفتحه تجد فيه وليا من الأولياء" فدخل في دار كثيرة البيوت، ففتح أول باب فوجد فيه أبا عبد الله الدقاق، ثم فتح ثانيا فوجده فيه، ثم فتح ثالثا فوجده فيه، فلما أصبح ذهب إلى أبي عبد الله ليعلمه، فابتدره أبو عبد الله قبل أن يكلمه وقال له: لو فتحت الأبواب كلها لوجدتني في كل بيت تفتحه.

وكان يقول: أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين علم التصوف، وكان الدقاق إماما في ذلك، وقال الشيخ أبو مدين: وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي، وكان من الكتب المفضلة عند الشيخ أبي مدين كتاب الرسالة القشيرية الذي ألفه الإمام القشيري.(١)

أبو شعيب الصنهاجي

هو الشيخ الولي أيوب بن سعيد، من مشاهير الأولياء، من أهل بلد أزمور(٢) ومات بها يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة، والصنهاجي بضم الصاد المهملة وكسرها وسكون النون وفتح الهاء وبعد الألف جيم، هذه النسبة إلى صنهاجة بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء في الآخر وهم بنو

---

(١) ينظر التشوف ص١٢٧، ٢٦١، أبو مدين الغوث ص ٣٧، أنس الفقير وعز الحقير ص ١٤، ٢٧، جامع الأصول في أحاديث الرسول ١/١٩٤، المطرب ص ٦٦.

(٢) أزمور بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة في الآخر وهي مدينة على ميلين من البحر أكثر سكانها صنهاجة. اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٤٩، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١/٤١٧، ٥/١٦٧.

صنهاجة بن برنس بن بربر وقيل: صنهاج بن أوريغ بن برنس بن بربر، ويقال: إنهم من حمير من عرب اليمن، وقيل: وهي قبيلة مشهورة بالمغرب، ينسب إليها خلق كثير من الأمراء والعلماء بالمغرب.

كان الشيخ في ابتداء أمره معلما للقرآن، وكان يتوكأ على عصا واقفا لا يقعد إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب ثم تصدق بجميع ما اكتسب في وقت التعليم خوفا أن لا يكون وفى ما عليه من حقوق.

ورأى يوما بقرة له أهوت بفيها في فدان جاره، فجرى إليها وأدخل يده في فيها فأخرج منه النبات وأمر أن ترد لداره ويجمع لها الحشيش ولا تترك تخرج إلى المرعى ثلاثة أيام وأن يتصدق بلبنها في تلك الأيام.

وكان من عادته إذا حل في موضع لا يجلس حتى يصلي ركعتين، وكان إذا وقف في صلاته يطيل القيام فلذلك سمي أيوب السارية.

فكان ﷺ شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى، ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات كثيرة.(١)

وإذا كان الشيخ أبو مدين قد درس كما ذكرت في شيوخه كتاب الرعاية والإحياء والرسالة القشيرية وعلوم التصوف، فكان أيضا لا بد له من الممارسة والسلوك والأخذ في طريق المقامات والأحوال، وهذا الجانب الجوهري والمهم في حياة الشيخ قد قيض الله له من يسير به على هذا

---

(١) ينظر التشوف ص ١٥٢ وما بعدها، أنس الفقير ص ٢١ وما بعدها، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/٢٠٧، اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٤٩.

الدرب، ذلكم الشيخ أبو يعزى والذي تقدمت ترجمته عند ذكر شيوخ أبي مدين، وتقدم طرف من تربية ذلكم الشيخ أبي يعزى لتلميذه أبي مدين في نشأة الشيخ أبي مدين وترجمة الشيخ أبي يعزى.(١)

من تلاميذه

كان سيدي أبو مدين، يبحث دائما عن سبل العلم، ومسالكه كيفما كانت، وأينما وجدت، حتى إنه في سياحته، كان بلا ركوة ولا عصا ولا راحلة، بل يمشي على الأقدام، مستعينا في ذلك برب الأنام، وقد سُئل عن ذلك في حضرة الشيخ أبي عمران موسى وهو من خواص أصحابه فأجاب: ركوتي الذكر، وعصاي التوحيد.

وكيف لا، وهو الذي شرب من مشارب العلوم الدينية، وارتقى عبر المقامات الصوفية، فأصبح شيخ الشيوخ والعلماء في عصره، جامعا بين دفتي الشريعة والحقيقة، حتى ملأت شهرته الآفاق، وأخذ عنه الكُبراء والعلماء، فقد تميز بتصوفه وزهده، وانفرد برقي علمه ودروسه إلى أن قيل عنه: أجل عروس تجلى في محافل الدروس، علم فهذب، وعبر عن القصد البعيد فقرب.

وذكر غير واحد أن الشيخ أبا مدين كان من أعلام العلماء، وحفاظ الحديث، خصوصا جامع الترمذي، وكان يقوم عليه، ورواه عن شيوخه كما تقدم، وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت، وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فتجتمع عليه الناس من كل

---

(١) ينظر أبو مدين الغوث ص ٤٤.

جهة، وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع، وربما مات بعضها، فتخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والفضلاء والمحدثين وأرباب الأحوال، وانتهى إليه كثير من العلماء المحققين وفضلاء الصالحين، لقد جاء أن الشيخ أبا مدين خرج ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة(١)

ومنهم على سبيل المثال:

العارف بالله الشيخ الأكبر (وهذا لقبه بين السادة الصوفية) محيي الدين بن عربي وهو صاحبه، وسيأتي في الحديث عن كرامات الشيخ أبي مدين أنهما التقيا روحا وليس جسدا، وأبو عبد الله القرشي، والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي صاحب كتاب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد.

ومنهم العارف الكبير الولي الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي الأندلسي، أحد الأعلام المنقطعين المشاهير فضلا وصلاحا، وكان كثير الأتباع، بعيد الصيت،

ومنهم الشقيقان الفاضلان أبو عبد الله محمد، وأبو العباس أحمد، ابنا ولي الله أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرازق الجزولي، ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرحيم

---

(١) ينظر المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد ص ٤٢ وما بعدها، التشوف ص ٢٦٣، نفح الطيب ١٣٧/٧، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٢٣٧/٢.

القناوي ، والشيخ أبو محمد عبد الله الفارسي، والشيخ أبو محمد صاحب الدكالي، والشيخ أبو غانم سالم، والشيخ أبو علي واضح، والشيخ أبو الصبر أيوب المكناسي، والشيخ أبو محمد عبد الواحد، والشيخ أبو الربيع المظفري، والشيخ أبو زيد بن هبة الله.

ومنهم تلميذه الصالح سيدي عبد الخالق التونسي الذي جاء عنه أنه قال: سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء، وكان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس، فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به وطال علي الليل في انتظاره، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني فقلت له: أنت موسى الطيار؟ فقال: نعم، ثم سألني وانصرف...وجاءت هذه القصة أيضا عن سيدي أبي مدين.(١)

المبحث الرابع: من كراماته

تمهيد

قبل الدخول في الحديث عن كرامات الشيخ رحمه الله لا بد من تمهيد ببيان الدلائل من كلام العلماء المعتبرين في علم العقيدة لذلك حتى لا يستبعد القارئ الكريم أمثال هذه الكرامات التي ذكرتها وغيرها ممن لم أذكرها وما وقع

---

(١) ينظر التشوف ص ٢٦٦، نفح الطيب ٦١٦/٢، ٢٤٢/٥، ١٤١/٧، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣٥٥/٣.

لأولياء الله فأقول بالإضافة إلى ما تقدم في الفصل الأول عند الحديث عن **ثبوت الكرامات** :

قد تقدم في صدر البحث مختصرا عن معنى الولي ومعنى الكرامة وحكم ثبوتها وأن جمهور أهل السنة على ثبوتها، وأتمم هنا فأقول ذكر صاحب المواقف وشارح المقاصد وغيرهما ما يأتي :

من الأدلة على جواز وقوع الكرامة أن وجود الممكنات مستند إلى قدرته الشاملة لجميعها فلا يمتنع شيء منها على قدرته، ولا شك أن الكرامة أمر ممكن إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته.

ثم المجوزون لوقوع الكرامة من الأولياء ذهب بعضهم إلى امتناع كون الكرامة بقصد واختيار من الولي، وبعضهم إلى امتناع كونها على قضية الدعوى حتى لو ادعى الولي الولاية واعتقد بخوارق العادات لم يجز ولم يقع بل ربما يسقط عن مرتبة الولاية، وبعضهم إلى امتناع كونها من جنس ما وقع معجزة لنبي كانفلاق البحر وانقلاب العصا وإحياء الموتى، قالوا: وبهذه الجهات تختلف عن المعجزات.

وهذه الطرق غير سديدة، والمرضى عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة، حتى لو ادعى الولي النبوة صار عدوا لله لا يستحق الكرامة بل اللعنة والإهانة.

فإن قيل: هذ الجواز مناف للإعجاز إذ من شرطه عدم تمكن الغير من الإتيان بالمثل بل مفض إلى تكذيب النبي حيث يدعى عند التحدي أنه لا يأتي أحد بمثل ما أتيت به. قلنا: المنافي هو الإتيان بالمثل على سبيل المعارضة،

ودعوى النبي أنه لا يأتي بمثل ما أتيت به أحد من المتحدين، لا أنه لا يظهر مثله كرامة لولي أو معجزة لنبي آخر، نعم قد يرد في بعض المعجزات نص قاطع على أن أحدا لا يأتي بمثله أصلا كالقرآن وهو لا ينافي الحكم بأن كل ما وقع معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة لولي.

لنا على الجواز ما في المعجزة من إمكان الأمر في نفسه وشمول قدرة الله تعالى وذلك كالملك يصدق رسوله ببعض ما ليس من عادته ثم يفعل مثل ذلك إكراما لبعض أوليائه.

وعلى الوقوع وجهان: الأول ما ثبت بالنص من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وأنه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزما قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله، وقصة أصحاب الكهف ونومهم في الكهف سنين بلا طعام وشراب، وقصة آصف وإتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف.

فإن قيل: كان الأول إرهاصا لنبوة عيسى أو معجزة لزكريا، والثاني لمن كان نبيا في زمن أصحاب الكهف، والثالث لسليمان ﷺ.

قلنا: سياق القصص يدل على أن ذلك لم يكن لقصد تصديقهم في دعوى النبوة بل لم يكن لزكريا علم بذلك ولذا سأل، ونحن لا ندعي إلا جواز ظهور الخوارق من بعض الصالحين غير مقرونة بدعوى النبوة ولا مسوقة لقصد تصديق نبي ولا يضرنا تسميته إرهاصا أو معجزة لنبي هو من أمته، ولا مشاحة في المصطلحات، على أن ما ذكرتم يرد على كثير من معجزات الأنبياء لجواز أن يكون معجزة لنبي آخر.

والثاني: ما تواتر معناه وإن كانت التفاصيل آحادا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين كرؤية عمر ﷺ على المنبر جيشه بنهاوند حتى قال: يا سارية الجبل الجبل وسمع سارية ذلك، وكشرب خالد ﷺعنه السم من غير أن يضر به، وأما من علي ﷺ فأكثر من أن تحصى.

وقال في موضع آخر: أن المراد بخوارق العادات: أمور ممكنة في نفسها ممتنعة في العادة، بمعنى أنها لم يجز العادة بوقوعها، كانقلاب العصا حية فإمكانها ضروري وإبداعها ليس أبعد من إبداع خلق الأرض والسماء وما بينهما، والجزم بعدم وقوع بعضها كانقلاب الجبل والبحر وأمثال ذلك لا ينافي الإمكان الذاتي.

وقد وردت السنة بإثبات الكرامات وهي مليئة بذلك ومنها: أن أبا هريرة ﷺ(١) قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: "بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع

---

(١) اسمه على الأشهر: عبد الرحمن بن صخر ، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس فكناه رسول الله ﷺ بأبي هريرة، أسلم سنة سبع، وحفظ عن رسول الله ﷺ كثيرا وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب، وكان من أوعية العلم وحفظ عنه الكثير، فهو من كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، قال البخاري: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر، وكان من أصحاب الصفة فقيرا، واختلف في وفاته فقيل: سنة ثمان وخمسين وقيل: تسع وقيل: سبع وتوفى في المدينة في خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة. ينظر التاريخ الكبير ١٣٢/٦، تذكرة الحفاظ ٣٢/١ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨٨/١٢.

يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث" قال الناس: سبحان الله، قال النبي ﷺ: "فإني أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما"(١) وفي رواية: أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث" فقال الناس: سبحان الله تعجبا وفزعا، أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: "فإني أومن به وأبو بكر، وعمر"(٢)

أيضا يجب التنبيه على أن الولي ما دام عاقلا بالغا لا يصل إلى مرتبة سقوط التكليف بالأوامر والنواهي لعموم الخطابات الواردة بالتكليف وإجماع المجتهدين على ذلك.(٣)

من كراماته

أما عن كرامات الشيخ أبي مدين ففي بطون كتب المناقب والتراجم وغيرهما الكثير من الحديث عن كرامات شيخنا رحمه الله وها أنا ذا أذكر هنا طرفا من بعض كراماته نفعنا الله بذكرها.

---

(١) صحيح البخاري ٥/٥ ح رقم ٣٦٦٣.

(٢) ينظر صحيح مسلم ١٨٥٧/٤ح رقم ٢٣٨٨.

(٣) المواقف ٣٧١/٣، ٤٦٥/٣، شرح المقاصد ١٧٧/٢، ٢٠٣/٢، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣١٦ وما بعدها، بستان العارفين ص ٣١٦ وما بعدها، حاشية السباعي على شرح الخريدة ص ١٥٦.

فمن أكبر كراماته التي تحدث عنها العلماء هي أنه تخرج على يديه هذا العدد العظيم من المشايخ والأولياء حتى إنهم قالوا: ألف تلميذ، كما تقدم والذين ذكر عنهم أصحاب التراجم أيضا أنه ظهرت على أيدي كل منهم الكرامات، ومن هنا جاء لقبه الذي يلقب به وهو: شيخ الشيوخ.

وحدثنا صاحب التشوف وغيره عن سيدي أبي مدين نفسه في بدء أمره عندما فر ليتعلم فلحقه أخوه وقال: والله لأقتلنك وأستريح منك، فعلاه أخوه بسيفه ليضربه، فتلقاه الشيخ أبو مدين بعود كان بيده فانكسر سيف أخيه وتطاير قطعا، فلما رأى ذلك قال لي: يا أخي اذهب حيث شئت.

ومنها: ما حدث عند وفاته وقد تقدم ذكرها في المبحث الأول من الفصل الأول.

ومنها: أنه جاءه رجل ليعترض عليه فجلس في الحلقة، فقال له أبو مدين: لم جئت؟ قال: لأقتبس من نورك، فقال له: ما الذي في كمك؟ فقال له: مصحف، فقال له: افتحه واقرأ أول سطر يخرج لك، ففعل، فخرج له قوله تعالى "الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ"(١) فقال له أبو مدين: أما يكفيك هذا، فاعترف الرجل وتاب.(٢)

وقال الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية في الباب الخامس والثلاثين في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته ﷺ ما

---

(١) الآية رقم ٩٢ من سورة الأعراف.

(٢) ينظر التشوف ص ١٥٩، ٢٦٤، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/٢١٣.

نصه: كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء وكان أبو مدين صاحب نظر، فكان هذا الصبي وهو ابن سبع سنين ينظر ويقول: أرى في البحر في موضع صفته كذا وكذا سفنا وقد جرى فيها كذا وكذا، فإذا كان بعد أيام وتجيء تلك السفن إلى بجاية مدينة هذا الصبي التي كان فيها، يوجد الأمر على ما قاله الصبي، فيقال للصبي: بماذا ترى؟ فيقول بعيني، ثم يقول: لا، إنما أراه بقلبي، ثم يقول: لا، إنما أراه بوالدي إذا كان حاضرا أو نظرت إليه، رأيت هذا الذي أخبركم به، وإذا غاب عني لا أرى شيئا من ذلك.

فهذه الكرامة التي جاء ذكرها من الكرامات العجيبة وهي كرامة كانت تتجلى في ولده الطفل بواسطة والده.

وجاء ذكر هذا الكرامة في الفتوحات المكية في الباب الذي ذكرته، وكان الشيخ قبل ذلك يقول: ثم أرجع وأقول: إن كل واحد من أهل الله لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص بالأشياء في جميع القوى، أو في قوة بعينها، كما قررنا، إما في الشم وهو صاحب علم الأنفاس، وإما في النظر فيقال: هو صاحب نظر، وإما في الضرب وهو من باب اللمس بطريق خاص، ولذلك كنى عن ذلك بوجود برد الأنامل، فينسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها فيقال: هو صاحب كذا كما قررنا أن الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب، أعني الصفة النفسية، فكما رجع المعنى الذي يقال فيه أنه لا يقوم بنفسه صورة قائمة بنفسها رجعت الصورة التي هي هذا العالم معنى لتحققه بذلك المعنى وتألفه به كما تألفت هذه المعاني، فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها يقال فيها: جسم وإنسان وفرس ونبات فافهم.

فيصير صاحب علم الذوق ذوقا وصاحب علم الشم شما، ومعنى ذلك أنه يفعل في غيره ما يفعل الذوق فيه إن كان صاحب ذوق أو ما فعل الشم فيه إن كان صاحب شم فقد التحق في الحكم بمعناه، وصار هو في نفسه معنى يدرك به المدرك الأشياء كما يدرك الرائي بالنظر في المرآة الأشياء التي لا يدركها في تلك الحالة إلا بالمرآة. (١)

ومنها: أنه كان ماشيا يوما على ساحل فأسره العدو، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين، فلما استقر في السفينة توقفت عن السير، ولم تتحرك من مكانها، مع قوة الريح ومساعدتها، وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير، فقال بعضهم: أنزلوا هذا المسلم، فلعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى، وأشاروا له بالنزول، فقال: لا أفعل إلا إن أطلقتم جميع من في السفينة من الأسارى، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك.(٢)

ومن كراماته: ما ذكره الشيخ الأكبر في كتابه مواقع النجوم في باب من تحقق بأعضائه الشرعية قال رحمه الله: (كيفية كشفية) وهذه من لطائف المكاشفات فأكتف من ذلك هو أن يخطر لك خاطر فيجيء المكاشف ويجده مرقوما في ثوبك النهي عنه أو الأمر به، كما اتفق للشيخ أبي مدين ﷺ حين خطر له أن يطلق امرأته فرأى الشيخ أبو العباس مخطوطا في ثوب أبي مدين أمسك عليك زوجك.(٣)

---

(١) ينظر الفتوحات المكية ٢١٧/١ وما بعدها، المطرب ص ٧٤.

(٢) ينظر نفح الطيب ١٤٠/٧

(٣) ينظر مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم ص ٦٤، الكواكب الدرية ٢٤٠/٢.

وهذه الكرامة جاءت عند صاحب المستفاد برواية أخرى وهي: قال الشيخ أبو مدين: كنت جالسا في جامع القرويين مستقبلا لسارية وأبو العباس الخشاب من خلفي مستقبلا لسارية أخرى فخطر ببالي: تفارق المرأة التي عندي أم لا فقام الشيخ أبو العباس وقال لي: يا شعيب أمسك عليك زوجك، فتكلم بخاطري في الحين. (١)

ومنها أيضا ما يقوله الشيخ الأكبر: أخبرني من أثق به عن سيدنا شيخ الشيوخ أبي مدين أنه خرج في بعض الأوقات على وجه السياحة، فلقي رجلا من أولياء الله تعالى فمشى غير بعيد، فدخل عند عجوز في مغارة في حكاية طويلة، ثم عاد الشيخ إلى العجوز آخر النهار فقعد عندها حتى وصل ابن لها كان يعبد الله في تلك الجبال، فدخل وسلم على الشيخ أبي مدين رضوان الله عليه، فقدمت العجوز صفرة فيها صحن وخبز فقعد الشيخ والفتى يأكلان، فقال الشيخ: تمنيت لو كان كذا، وأن خاطر ذلك في نفسه، فقال له الفتى: قل بسم الله وكل ما شئت، فسميت الله وأكلت فإذا به طعم ما تمنيت، فلم أزل أقصد التمني، وهو يقول مثل مقالته الأولى وأنا أجد الطعام ما تمنيت، وكان الشاب صغيرا كما عذر ألحقنا الله بأوليائه.(٢)

ومنها ما جاء في جامع كرامات الأولياء: قامت الحرب مرة بالمغرب بين المسلمين والفرنج، وكان الظهور للفرنج، فأخذ شيخنا أبو مدين سيفه وخرج

---

(١) ينظر المستفاد ص ٥٠.

(٢) ينظر مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم ص ١٠٧ وما بعدها.

إلى الصحراء مع نفر من أصحابه وجلس على كثيب، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت الصحراء فوثب حتى صار بينهم وعلا بالسيف رءوسهم حتى قتل كثيرا منهم وولوا هاربين فسألنا فقال: هؤلاء الفرنج وقد خذلهم الله تعالى، فأرخناه، فجاء الخبر بكسرتهم في الوقت بعينه وجاء المجاهدون وأكبوا عليه يقبلون قدميه وأقسموا أنه لولم يكن الشيخ بين الصفين لهلكوا: وأخبروا أنه كان يعلوا بسيفه رأس الفارس فيصرعه وفرسه، وأنه قتل منهم مقتلة عظيمة وولوا مدبرين وأنهم لم يروه بعد الحرب، وكان بين الشيخ وبين المعركة أكثر من شهر.

ومنها : أنه حنى رأسه يوما وهو بين أصحابه وقال: وأنا منهم اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت وأطعت، فسئل عن ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي على رقبة كل ولي لله، فأرخوا ذلك وهم بالمغرب فكان كذلك . (١)

ومنها أنه قال يوما لأصحابه: كل معجزة كانت للأنبياء ظهرت كرامة للأولياء في هذه الأمة تشريفا وتعظيما وتكريما لنبينا وسيدنا محمد ﷺ، فقيل له: يا سيدي وهل وقعت لبعض الأولياء كرامة بانقلاب العصا حية؟ قال: نعم، كنت أنا وشيخا فاضلا من شيوخ بلادنا بأرض الأندلس في سياحة في بعض السواحل، فبينما نحن ذات يوم في بعض السواحل ونحن في الصلاة إذا بصيادين من الروم قد هدتهم الجوارح علينا (أي صوت الكلاب) تقدمت

---

(١) ينظر جامع كرامات الأولياء ٢/١٢٥ وما بعدها.

الجوارح وكان الشيخ مما يليهم وعصاه مركوزة بين يديه فانقلبت العصا ثعبانا فطردت الجوارح والصيادين حتى بعدوا ثم عادت فصارت عصا واقفة بين يديه ثم عادت الجوارح وأربابها في أثرها حتى إذا قربوا من الشيخ انقلبت العصا ثعبانا أعظم من الأول فطردت الجوارح وأربابها، حتى غابوا عنا ثم عادت إلى موضعها فصارت عصا كما كانت فلم يعودوا بعد، فأخذ الشيخ عصاه بيده وسرنا من ذلك الموضع.(١)

ومنها ما قاله الشيخ الأكبر: كان سبب اجتماعي بموسى أبي عمران السدراني ﷺ وكان من الأبدال وكان مجهولا له عجائب وغرائب، أني قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بإشبيلية في حياة الشيخ أبي مدين وتمنيت أن لو اجتمعت به، والشيخ في ذلك الزمن ببجاية مسيرة خمسة وأربعين يوما فلما صليت المغرب تنفلت بركعتين خفيفتين، فلما سلمت دخل علي هذا أبو عمران فسلم، فأجلسته إلى جانبي وقلت: من أين؟ فقال: من عند الشيخ أبي مدين من بجاية، قلت: متى عهدك به؟ قال: صليت معه هذا المغرب، فرد وجهه إلي وقال: إن محمد بن العربي بإشبيلية خطر له كذا وكذا فسر إليه الساعة وأخبره عني بكذا وكذا، وذكر لي ما خطر لي من رغبتي في لقاء الشيخ، وقال لي: يقول لك: أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت، وأما الاجتماع بالأجساد في هذه الدار فقد أبى الله ذلكن فسكن خاطرك والموعد بيني وبنك عند الله مستقر رحمته وذكر كلاما خلاف ذلك ورجع إليه.(٢)

---

(١) ينظر المنهاج الواضح ص ١٠٥ وما بعدها، المطرب ٧٣.

(٢) ينظر شرح رسالة روح القدس ص ١١٣.

وقال أيضا: وشي به إلى السلطان يوما فأمر بتقييده فقيد بالحديد وسير به إليه، فلما قرب من فاس ألقي في بعض المنازل في بيت وأقفل عليه وبات عليه الحرس فلما أصبح الصبح فتح الباب فوجد الحديد الذي عليه مطروحا وما وجدوا أحدا، فدخل فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع عليه الباب فخرج الشيخ بنفسه وقال له: من أنت فقال موسى، قال له الشيخ: وأنا شعيب، ادخل لا تخف نجوت من القوم الظالمين.(١)

إلى هنا أكتفي بهذا القدر الجليل من ذكر بعض كرامات سيدي أبي مدين، وما هي إلا إشارة خفيفة لطيفة، ولو أردنا الاستقصاء لأعيانا ذلك ولطال بنا البحث، وحسبنا أن تكون فيها ذكرى لمن كان له قلب، وعبرة لأولي الألباب وزيادة ترقي ودرجات في لإيمان للمحب .

المبحث الخامس : من حكمه وأقواله

وهنا أثبت من كلامه المبارك ما يدل على علو مقامه، وبديع قصده ومرامه، ولولا الإطالة لألحقت كل كلمة منها بمعالمها، وفي حفظها إن شاء الله والعمل بها ما يرقى إلى منازل الأبرار، ويوصل إلى عالم المقربين الأخيار.

فمن حكاياته وأقواله المفيدة التي نتعلم منها الحكم والأسرار ما جاء في رسالة روح القدس للشيخ الأكبر أنه قال: جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين رضي الله عنه فقال: يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني، فقال له الشيخ: قد شكى إلي إبليس منك قبلك، فقال: وما قال لك؟ قال: قال

---

(١) ينظر شرح رسالة روح القدس ص ١١٣.

لي: يا شيخ تعلم أن الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حبالي وشركي وملكنيها فجاء فلان فتعدى علي وأخذ منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه، ووالله ما قصدت منهم إنسانا ولا طلبت منهم أحدا ولا برحت من مكاني أحفظ على بستاني ومالي فمن أخذ لي منه شيئا تبعته أطلب حقي، وقد عرفت أن فلانا يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي وأسلبه مما أقدر عليه من دينه أو يرد إلي متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال الله تعالى: "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي"(١) فما لي عليهم حجة ولا حق فإنهم تركوا مالي وهذا تعدى علي، من الظالم؟ فقال الرجل: أنا، فقال له الشيخ: رد إليه دنياه يرد إليك آخرتك.(٢)

وقرع رجل باب الشيخ أبي مدين فخرج إليه ولم يكن في نية الشيخ أن يخرج إليه أو لا يدخله في ذلك الوقت في داره، فقال له: ما اسمك؟ فقال: أحمد الفائدة، فقال له الشيخ: ادخل فإن العاقل لا يطرد الفائدة إذا وصلت إلى باب داره وهو يطلبها.

وجاءت هذه القصة عند الشعراني في أثناء حديثه عن ذكر جملة من آداب القوم فقال: ومن شأنهم التفاؤل والأخذ بالفأل الحسن النظير به يعني بطريقه الشرعي، وذكر القصة.(٣)

---

(١) من الآية رقم ٢٢ سورة إبراهيم.

(٢) ينظر شرح رسالة روح القدس ص ٤٩.

(٣) ينظر لواقح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ص ٢٧٢.

ومن أقواله في المناجاة: من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم، ومن عرف الله استفاد منه في اليقظة والنوم ومن اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل، ومن لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب.

وقوله في إصلاح الرعية: بفساد العامة تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفتانون.

وقوله: من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه، ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته، ومن حرمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمقت من خلقه، وانكسار العاصي خير من صولة المطيع.

وقوله في الإخلاص: من علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق.

وسئل عن الشيخ فقال: من شهدت له ذاتك بالتقديم، وسرك بالاحترام والتعظيم، والشيخ من هداك وهذبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه وأطرافه، وأنار باطنك بإشراقه.(١)

وكان يقول: من علامات صدق المريد في بدايته انقطاعه عن الخلق وفراره، ومن علامات صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق. فأما قول أبي سليمان الداراني: لو وصلوا ما رجعوا،

---

(١) ينظر نفح الطيب ١٤٣/٧، المطرب ص ٧٦ وما بعدها.

فليس بمناقض لقول أبي مدين، فإن أبا مدين عنى رجوعهم إلى إرشاد الخلق -والله أعلم. (١)

وكان يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا ﷺ، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي بالسند إلى رب العزة جل جلاله.

وقال رضي الله عنه: الحق سبحانه مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس، فأيما قلب يرآه مؤثرا له، حفظه من طوارئ المحن ومضلات الفتن.

وقال: إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته. وقال: من رأيته يدعى مع الله حالا لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره، وقال:لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن جمعت له أربعة، الزهد والعلم والتوكل واليقين. وقال: اجعل الصبر زادك، والرضى مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك. وقال: من تعلق بدعوى الأماني لم يفارق التوانى. وقال: جعل الله تعالى قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين محلا للذكر والاستيناس.

وقال في التواضع: لا ينفع مع الكبر عمل ولا يضر مع التواضع بطالة. وقال: توكل على الله حتى يكون الغالب على ذكرك، فإن الخلق لم يغنوا عنك شيئا. وقال: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة. وقال: من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه. وقال: الدعوى من رعونة النفس، وقال: أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء. وقال: ثمرة التصوف

---

(١) ينظر سير أعلام النبلاء ٢١٩/٢١ وما بعدها، نفح الطيب ١٣٩/٧.

تسليم كلك، وقال: من ترك التدبير والاختيار طاب عيشه. وقال: مروءتك إعطاؤك عن تقصير غيرك. وقال: الغيبة عن الحق خيبة. وقال: التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب.

وقال : المهمل في الأحوال لا يصلح لبساط الحق. وقال: كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة. وقال: ما عرف الحق من لم يؤثره وما أطاعه من لم يشكره. وقال: المروءة موافقة الإخوان فيما لم يحظره العلم عليك. وقال: قوة العارف معروفة وقوة الغير فمعتادة مألوفة. وقال: من أراد الصفاء فليلزم الوفاء. وقال: أساس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد. وقال: التدارك بالبلاء تحقيق بالرضى. وقال: الفقر أمارة على التوحيد ودلالة على التفريد، وحقيقة الفقر أن لا تشاهد سواه. وقال: الزهد فريضة وفضيلة وقربة، فالفرض في الحرام، والفضل في التشابه، والقربة في الحلال. وقال: من قطع موصولا بربه قطع به. وقال: من شغل مشغولا بربه أدركه المقت في الوقت، يا نفس هذه موعظة لك إن اتعظت. وقال: من استكن إلى غير الله بسره نزع الله الرحمة من قلوبهم عليه وألبسه لباس الطمع فيهم. وقال: احذر محبة المبتدعين فهو أبقى على دينك واحذر محبة النساء فهو أبقى على قلبك.(١)

وقال في حسن الخلق: حُسن الخُلق، معاشرة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه، فمع العلماء بحسن الاستماع والافتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون

---

(١) ينظر نفح الطيب ١٣٩/٧، عنوان الدراية ص ٣١ وما بعدها، المطرب ص ٧٦ وما بعدها.

والانتظار، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار، وقال: الحق سبحانه وتعالى يجري على ألسنة علماء كل زمان بما يليق بأهله، وإن ظهر الحق لم يبق معه غيره، وقال: أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفي جاهل أو واعظ مداهن .

وقال : أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه، وأفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه ومنه إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره، واذا سكن الخوف القلب أورثه المراقبة، ومن تحقق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعين الافتراء، وما وصل إلى صريح الحرية من عليه من نفسه بقية، ومن كلامه: إذا رأيت من يدعي مع الله تعالى حالا وليس على ظاهره شاهد فاحذروه، وسئل عن التسليم فقال: إرسال النفس في ميدان الأحكام وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام، وسئل في مجلسه عن الحب فقال: أوله دوام الحب ووسطه الأنس بالمذكور وأعلاه أن لا ترى سواه . (١)

وسئل عما خصه الله به فقال: مقامي العبودية وعلومي الألوهية وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ملأت عظمته سري وجهري وأضاء بنوره بري وبحري، فالمقرب من كان به عليما، ولا يسمو إلا من أتى قلبا سليما، يسلم من سواه، ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه.

---

(١) ينظر نيل الابتهاج ص: ١٩٩، مرآة الجنان ٣/٣٥٥، المطرب ص ٧٧، أبو مدين الغوث ص ١٠٢ وما بعدها.

وذكرت عنده العقبات السبع التي في كتاب منهاج العابدين للغزالي فقال: رأيت من قطعها في سبعين عاما بأن قطع كل عقبة منها في عشرة أعوام، ورأيت من قطعها كلها في ساعة واحدة كإبراهيم بن أدهم الذي قطعها في ساعة واحدة وجاءه التوفيق، وكان يقول: شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور، وكان يقول: الملتفت إلى الكرامات كعابد الأوثان فإنه إنما يصلي ليرى كرامة.

قال في المطرب : ومعناه أن من كان قصده بالعبادات ظهور الخوارق والكرامات لا يكون مخلصا في عبوديته بل تكون عبادته معلولة لا إخلاص فيها، وللقوم همة عالية في هذه الميادين فهم يجعلون مجرد طلب الأجر والثواب على العبادة مخلا بالعبودية والإخلاص سواء كان ذلك الأجر والجزاء مسبقا في هذه الحياة ومنه الخوارق، أو مؤخرا وهو الجنة وما فيها من نعيم.(١)

وكان الشيخ أبو مدين يقول: ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها، وقال: الجمع ما أسقط تفرقك ومحا إشارتك، والوصول استغراق أوصافك وتلاشي نعوتك، وكان يقول: أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه، وأفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه، وكان يقول: الخالي من الأنس والشوق فاقد المحبة، وكان يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون، وكان يقول ما وصل إلى صريح

---

(١) ينظر المطرب ص ٧٧، أبو مدين الغوث ص ١٠٢ وما بعدها.

الحرية من بقي عليه من نفسه بقية، وكان يقول: شاهد مشاهدته لك ولا تشاهد مشاهدتك له، وكان يقول: القريب مسرور بقربه والمحب معذب بحبه، وكان يقول: للفقر نور ما دمت تستره فإذا أظهرته ذهب نوره، وكان يقول: من كان الأخذ أحب إليه من العطاء فما يشم للفقر رائحة، وكان يقول: من نظر إلى المكونات نظر إرادة وشهوة حجب عن العبرة فيها والانتفاع بها، وكان يقول: من لم يصلح لمعرفته شغله برؤية أعماله، ومن سمع منه بلغ عنه، وكان يقول: الحق لا يراه أحد إلا مات فمن لم يمت لم ير الحق، وكان يقول: الإخلاص ما خفي على النفس درايته وعلى الملك كتابته وعلى الشيطان غوايته وعلى الهوى إمالته، وكان يقول: كل فقير لا يعرف زيادته ونقصه في كل نفس فليس بفقير، وكان يقول: الفقر فخر والزهد عافية والصمت نجاة ونسيان الحق طرفة عين خيانة، وكان يقول: الحضور مع الحق جنة والغيبة عنه نار والقرب منه لذة والبعد عنه حسرة والأنس به حياة والاستيحاش منه موت، وكان يقول: طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة.(١)

وقال: كان الأمر بسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام عن إغضاب خفي لا يشعر به كل أحد، فكان كالكفارة لما وقعوا فيه من تزكية نفوسهم وتجريح آدم عليه السلام، وقال: ما وصل إلى مقام الحرية من بقيت عليه من نفسه بقية.(٢)

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى للشعراني ص ٢٢٤ وما بعدها.
(٢) ينظر الكواكب الدرية ٢/٢٤٢.

وقال: المريد إذا أتاه شيء من الدنيا أخذه بالعلم والرضا ودفعه بالزهد والسخاء وكان بينهما بخطر.(١)

وبعد، فهذه كلمات طيبات ونبذ متخيرات من كلامه رضي الله عنه، وكل قضية منها لو اقتصر عليها المقتصر، وتمسك بمجردها الفطن اللبيب المختصر، لأغنته وحصلت له المراد وكفته، فإنها تضمنت من جوامع المعاني ما يطول فيه التفصيل، وتعظم به الإفادة لذوي التحصيل، والله موفقنا ومرشدنا بمنه. ومن أراد المزيد في الحكم والأقوال فليراجع ما فتح به الملك المتعال كتاب شرح حكم العارف بالله تعالى أبي مدين والمسمى شرح العلامة الفاضل والإنسان الكامل صاحب المعارف البواهر الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المعروف بباعشن المسمى بالبيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد من كلام العارف بمولاه سيدنا ومولانا أبي مدين رحمه الله تعالى وأرضاه.

وإنما نقلت الحكم والأقوال من مصادر أخرى لأعزو كل مجموعة من الحكم والأقوال إلى مصادر ومراجع أخرى ليزداد ثبوتها بكثرة ورودها، مع الأخذ في الاعتبار أن من ترجم للشيخ كان بعضهم ينقل جزءا من كراماته وبعضهم قد نقل جزءا من أقواله وقد جمعت جزءا طيبا منها نتعلم منه أن أبا مدين رضي الله عنه كان له في التصوف أسس وقواعد يعتمدها في تربية مريديه لتقريبهم إلى الله تعالى، ولتربيتهم على مقامات التصوف، ومن بين تلك

---

(١) ينظر المستفاد من مناقب العباد ص ٤٣ وما بعدها.

الأسس: أقواله في التوبة والإخلاص والزهد والورع والمحاسبة والمراقبة والمعرفة والحضور مع الله والمشاهدة والفهم عن الله، إلى غير ذلك.

المبحث السادس: مؤلفات حوله ومؤلفاته ومن أشعاره

لقد ألف العلامة المحدث أبو العباس أحمد بن الحسين القسطيني الشهير بابن قنفذ والمتوفى سنة عشر وثمانمائة هـ كتابا عن الشيخ وسماه: أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين الغوث وأصحابه رضي الله عنهم، وألف الدكتور عبد الحليم محمود كتابا عن سيدي أبي مدين وسماه: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، وألف الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي كتابا في شرح الحكم وسماه: المواد الغيثية في الحكم الغوثية، وقد قسم الكتاب تقسيما طيبا إلى فصول على حسب ما اشتملت عليه الحكم من معاني .

وألف الشيخ أحمد فريد المزيدي، المحقق المشهور كتابا وسماه: شيخ الشيوخ في الأمصار أبو مدين الغوث، هذا ما وقفت عليه، ووالحمد لله وإن كنت استفدت منهما إلا أني قرأت جيدا عن الشيخ في المصادر التي قرأتها ونقلت كل كلامي من هذه المصادر الأخرى والمراجع المعتمدة التي عنيت بترجمة الشيخ، وقد ظهر ذلك في كتابتي وفي الهوامش التي نقلت منها، وكان منهجي غير منهجهما وطريقتي غير طريقتهما، وأسأل الله القبول والسداد.

أما عن مؤلفاته فله ﷺ أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد والحكم، شرحه الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقب بباعشن في كتاب سماه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد

وله ﷺ كتاب: مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب، وترك ﷺ كلاما وأدعية وديوانا من الشعر، فلقد كان الإمام الشيخ أبو مدين إلى جانب كونه محدثا فقيها، كان شاعرا أديبا، وشعره في غاية الجودة والنفاسة، والحسن والبراعة لفظا ومعنى، وقد نال شعره شهرة واسعة بين الناس، والبعض منه يغنى به وينشد في محافل الذكر وحتى الآن.(١)

هذا فضلا عن اهتمام العلماء به، فقصيدته الرائية المشهورة والتي مطلعها: ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا، قد تناولها بالشرح المفصل الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله في كتابه عنوان التوفيق في آداب الطريق، وللقصيدة تخميس كتبه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي عليها، وها هي ذي القصيدة بالتخميس:

يَا طالِبا مِن لَذاذاتِ الدُّنَا وَطَرا إذا أردت جميع الخير فيكَ يُرى المُستشارُ أمين فاسمَع الخبرا

ما لذَّةُ العَيشِ إلا صُحبة الفُقَرا هُم السَّلاطِينُ والسَّاداتُ والأمَرا

---

(١) ينظر هدية العارفين ٤١٧/١، إيضاح المكنون ١٣٣/٣، معجم المطبوعات العربية والمعربة ٣٤٥/١، معجم المؤلفين ٣٠٢/٤، الأعلام للزركلي ١٦٦/٣، معجم الشعراء العرب ص ٤١٨، اكتفاء القنوع ص ١٧٠.

قوم رَضُوا بيَسِير مِن مَلابسِهم والقُوت لا تخطُر الدنيا بهاجِسِهم صُدورهُم خالِيات مِن وسَاوِسِهم

فاصْحبهُمو وتَأدَّبْ في مَجالِسِهم وخَلِّ حَظَّكَ مهْمَا قَدَّمُوكَ وَرَا

اسْلُك طريقَهموا إنْ كُنتَ تابِعهُم واتْرُك دعَاويكَ واحْذَرْ أن تراجعهم فِيما يُريدونه واقصد منافِعهُم

واستغْنِم الوقتَ واحضُر دائما معهم واعلم بأنَّ الرِّضا يخْتَصُّ من حَضَرا

كُنْ راضِيا بهِمُوا تَسْمُو بهم وتطل إن أثبتُوكَ أقِمْ أو إنْ مَحَوكَ فَزُل وإنْ أجاعوكَ فجُعْ أو إنْ أطعَمُوك فكُلْ

ولازِمِ الصَّمتَ إلا إن سُئِلتَ فقُلْ لا عِلْمَ عِندي وكنْ بالجَهل مَستتِرا

ولا تكُن لعُيوبِ الناس مُنتقِدا وإن يَكن ظاهِرا بين الأنام بدا وانظُرْ بعَينِ كَمَال لا تعِبْ أحَدا

ولا تَرَ العَيبَ إلا فيكَ مُنعقِدا عَيبا بدا بينا لكنه اسْتترا

تنلْ بذلِكَ ما ترجُوه من أدب والنفسُ ذَلِّلْ لهم ذلا بلا ريب بلْ كلُّ ذلك ذل نابَ عن أدب

وحُطَّ رَأسكَ واستغفِر بلا سبب وقمْ على قدَمِ الإنصَافِ مُعتذِرا

إن شئتَ منهم بريْقا للطريق تشمْ عن كلِّ ما يَكرهوهُ مِن فِعالكَ ذُم والنفسُ منكَ على حُسنِ الفِعالِ أدِم

وإنْ بَدا منكَ عَيبٌ فاعترفْ وأقِمْ وَجْهَ اعتذاركَ عمَّا فيكَ مِنكَ جَرى

لـهم تملق وقل داوُا بصُلحِكُموا بمرْهَمِ العَفوِ مِنكمْ داء جرحِكمُوا أنا المُسيءُ
هبُوا لي مَحضَ نصْحِكمُو
وقلْ عُبيدكمُوا أولى بصَفحِكمُوا فسَامِحُوا وخذوا بالرِّفقِ يا فقرا
لا تخشَ مِنهم إذا أذنَبتَ هِمَّتهُم أسنى وأعظَمُ أن ترديكَ عِشرَتهُم ليسوا جَبابرة
تؤذِيكَ سَطوَتهُم
هُم بالتفضلِ أولى وهو شِيمَتهُم فلا تخفْ دَرَكاً مِنهم ولا ضَرَرا
إذا أردتَّ بهم تسْلُكْ طَريقَ هُدى كنْ في الذي يَطلبُوه مِنكَ مُجتهِدا في فور
يومِكَ واحذَرْ أن تقول غدا
وبالتفنِّي عَلى الإخوان جُدْ أبدا حِسا ومَعنىً وغضَّ الطَّرفَ إن عَثرَا
أصدِقهُم الحَق لا تستعمِل الدنَسَا لأنهم أهْلُ صِدقٍ سادَة رُؤَسَاء واسمَح لِكلِّ
امْرئٍ مِنهم إليكَ أسَاء
ورَاقِبِ الشيخَ فِي أحوالِهِ فعَسى يرى عَليكَ مِن استِحْسَانِهِ أثرَا
وأسْألهُ دَعوَتهُ تحْظَ بدَعوَتهِ تنَلْ بذَلكَ مَا ترجُو ببَركَتهِ وحسِّنْ الظنَّ واعْرفْ
حَقَّ حرمَتهِ
وقدِّمِ الجِدَّ وانهَضْ عندَ خِدْمَتِهِ عَسَاهُ يَرضَى وَحَاذِرْ أن تكنْ ضَجِرا
واحْفظْ وصِيتهُ زِدْ مِن رِعَايَتِهِ ولبِّهِ إنْ دَعَا فوراً لِسَاعَتهِ وغضَّ صَوتكَ
بالنجْوى لِطاعَتِهِ
ففِي رضاهُ رِضَا الباري وطَاعَتِهِ يَرضَى عليكَ فكنْ مِن تركِهَا حَذِرَا

والزَمْ لمَنْ نفسُهُ نفْسٌ مُسَايسَة في ذا الزَّمانِ فإنَّ النفسَ آيسة منهُم وحِرفتهُم
في الناسِ باخِسَة

واعلم بأنَّ طريقَ القومِ دَارسَة وحَالُ مَنْ يدَّعِيهَا اليومَ كيف ترَى؟

يَحِقُّ لي إنْ نَأوْا عَني لأُلفتهِم ألازمُ الحزنَ ممَّا بي لِفرقَتهم على انقِطاعي
عنهُم بَعدَ صُحبتِهم

مَتى أراهم وأنى لِي برُؤيتهم!أو تسمَعُ الأذُنُ مِني عنهُم خبَرَا

تخلفي مانِعِي مِن أنْ ألائِمهُم منهُم أتيتُ فلُمنِي لسْتُ لائِمهم يا ربِّ هَبْ لي
صلاحا كي أنَادِمُهم

مَن لِي وأنى لِمثلي أن يزاحِمهم على موارِدِ لمْ آلفْ بها كدَرا

جَلَّتْ عن الوصْفِ أن تحصَى مآثِرهُم على البواطِنِ قدْ دَلتْ ظواهِرهُم بطَاعةِ
الله في الدنيا مفاخرهُم

أحِبهم وأُداريهِم وأوثِرهم بمُهجَتي وخصُوصاً مِنهمْ نفرَا

قوم على الخلقِ بالطَّاعاتِ قدْ رءسُوا منهُم جَلِيسهُم الآدابَ يَقتَبسُ ومَن تخلَّفَ
عنهُم حظَّهُ نحس

قوم كرامُ السَّجايَا حَيثمَا جَلسُوا يبقى المكانُ على آثارهِم عَطِرا

فهم بهِم لا تفارقهُم وَزِدْ شَغَفا وإن تخلَّفتَ عنهُم فانتحِب أسَفا عصابة بهم
يُكسى الفتى شرَفَا

يهدِي التصَوفُ مِن أخلاقهِم طرَفا حُسْنُ التآلُفِ منهُم راقني نظرا

جَررتُ ذَيلُ افتِخَارِي فِي الهَوى بهِمُوا لما رضُوني عُبَيدا فِي الهَوى لَهموا
وحقهم في هواهم لستُ أنسهموا
هُم أهلُ وُدِّي وأحبابي الذينَ همُ مِمنْ يَجرُّ ذُيول العِز مُفتخرا
قطَعتُ فِي النظمِ قلبِي فِي الهَوى قطعا وقد توسلتُ للمَولى بهم طَمعا أن يغفِرَ
الله لِي والمسلمين معا
لا زالَ شَمْلي بهم في الله مُجتمِعا وذنبُنا فيهِ مغفورا ومغتفرا
يا كلَّ مَن ضَمَّه النادِي بمَجلِسنا أدعُ الإله بهِم يمحو الذنوبَ لنا وادعُ لِمنْ
خَمسَ الأصْلَ الذي حَسُنا
ثمَّ الصَّلاةُ على المُختارِ سَيدِنا مُحَمدِ خيرُ مَن أوفى ومَن نذرَا (١)

ومنها:

تحيا بكُم كل أرض تنزلونَ بها كأنَّكُم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكُم منظرا حسنا كأنَّكُم في عيون الناس أزهارُ
ونورُكُم يهتدي الساري لرؤيتهِ كأنّكُم في ظلام الليل أقمارُ
لا أوحشَ الله ربعا من زيارتكُم يا من لهم في الحشا والقلب تذكارُ (٢)

---

(١) ينظر عنوان التوفيق في آداب الطريق ص ٢٢١ وما بعدها، ديوان أبي مدين القصيدة فقط وليس التخميس ص ٢٣، روح المعاني ١٥/٣٠٧.
(٢) ينظر ديوان أبي مدين ص ١٩.

ومنها:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا

واستنزلوا جودك المعهود فاسقهم ريا يُريهم رضا لم يثنه سخط

وعامل الكل بالفضل الذي ألفوا يا عادلا لا يرى في حكمه شطط

إن البهائم أضحى الترب مرتعها والطير تغدوا من الحصباء تلتقط

والأرض من حلة الأزهار عارية كأنها ما تحلّت بالنبات قط

وأنت أكرم مفضال تمد له أيدي العصاة وإن جارو وإن قسطوا

ناجوك والليل حلّاه بهاء سنا كما يُحلى سواد اللمة الشمط

فشارب بذنوب الذنب غص به وآخرون كما أخبرتنا خلطوا

ومنعم في لذيذ العيش وهو يرى في سلك من هو حول العرش ينخرط

وملحد يدعي ربا سواك له حيران في شرك الإشراك ينخرط

كل ينال من المقدور قسمته قوم ترقوا وقوم في الهوى سقطوا

حكم من الله عدل في بريته فرض علينا له التسليم مشترط

ومن تصدى لحكم الله معترضا فقد تصدى له الخذلان والغلط

وما ذنوب الورى في جنب رحمته وهل يقاس بفيض الأبحر النقط

فما لنا ملجأ غير الكريم ومن يُلفى على الحوض وهو السابق الفرط

ذاك الرسول الذي كل الأنام به يوم القيامة مسرور ومغتبط

صلى عليه الله صلاة لا نفاذ لها من اسمه باسمه في الذكر مرتبط(١)

ومنها :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالي

قال بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين: كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت: الله قل وذر الوجود وما حوى .....(٢)

ومنها:

باسم الله ابتدائي في كل محترمي الحمد لله في أيدي ومحتلمي

أستغفر الله مولانا وخالقنا عن العباد وعن سوءات ملتطمي

أستغفر الله مجري الفلك في الظلم على عباب من التيار ملتطم

أستغفر الله منجي المستجير به إذا ألم به ضرا من الألم

أستغفر الله غفار الذنوب لمن بالانكسار أتى و الذل و الندم

---

(١) ينظر ديوان أبي مدين ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) الفروق مع هوامشه ٤/٤٦٥. ديوان أبي مدين ص ٣٠، نفح الطيب ٥/٢٦٠.

أستغفر الله ستار العيوب على أهل العيوب و منجيهم من النقم

أستغفر الله من نطقي و من خلقي و شين شأني ومن شكلي ومن شيمي

أستغفر الله من سري ومن علني ومن تقلب قلبي ومن ابتسام فمي

أستغفر الله من سمعي ومن بصري ومن ضميري ومن فكري ومن كلمي

أستغفر الله من قولي ومن زللي ومن كبائر آثامي ومن لممي

أستغفر الله مما قد جنته يدي من الخطايا ومما قدمت قدمي

أستغفر الله مما لم تكن كسبت كفي وما اكتسبت في مبلغ الحلم

أستغفر الله من نفسي ومن نفسي و خاطري وخطور الوهم بالتهم

أستغفر الله من طبعي و من طمعي ومن تحول حالي حالة السقم

أستغفر الله من قول أنا ومعي ولي وعندي ومن ظني ومن فهم

أستغفر الله مما لست أعلمه وما علمت و ما حرفت بالقلم

أستغفر الله من نومي ومن سنتي ويقظتي وبه ما عشت معتصمي

أستغفر الله في يومي وليلته وفي غد قبل أن يبدو من العدم

أستغفر الله مما كان في صغري من الخلاف لعصر الشيب و الهرم

أستغفر الله من ما هبت يمانية وسحت السحب في الساحات والأكم

أستغفر الله ما سار الحجيج إلى معالم شرفت في الحل و الحرم

أستغفر الله ما لاح الصباح و ما تغنت الورق في الأوراق بالنغم

أستغفر الله تعداد الحروف وما في الذكر من آية تتلى ومن حكم

أستغفر الله تعداد الهوام وما في الأفق من عالم والأرض من علم

أستغفر الله تعداد النبات وما في البحر من نعمة والبر من نعم

أستغفر الله تعداد الرياح وما تجري عليه من الأقوات و القسم

أستغفر الله تعددا الكواكب في داج الغياهب من باد ومكتتم

أستغفر الله تعداد الرمال و ما ينهل في عالم الدنيا من الديم

أستغفر الله تعداد الخلائق من إنس وجن ومن عرب ومن عجم

أستغفر الله تعداد الخواطر في صدور أهل النهى والعلم والحكم

أستغفر الله جل الله خالقنا باري البرايا و محيي الأعظم الرمم

أستغفر الله جل الله رازقنا المنعم المفضل الموصوف بالكرم

أستغفر الله جل الله باعثنا ليوم مزدحم الأملاك و الامم

أستغفر الله أضعافا مضاعفة مما ذكرت من الأجناس والقسم

أستغفر الله من فعل بلا نية من الأفعال التي تكون من كلم

ثم الصلاة على المختار من مضر ..... خير البرية من باك و مبتسم (١)

---

(١) ينظر ديوان أبي مدين ص ٣٠ وما بعدها .

إلى غير ذلك من القصائد الطيبة الذكر العظيمة القدر التي كتبها الشيخ سواء كانت في المحبوب أو في المناجاة أو في التأمل أو غير ذلك، أكتفي بهذه الإشارة لبعض أبياته ونظمه، وإلى هنا ينتهي بنا المطاف حول دراسة الشيخ أبي مدين، والله أسأل القبول والتوفيق دوما.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وترفعنا بها على الدرجات، وتكفر بها عنا جميع السيئات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات، وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمـــة

الحمد لله الذي على ما أولانا من العلوم والمعارف، والشكر له على ما حل بنا من اللطائف، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص أقر له بالربوبية، واعترف له بالوحدانية المطلقة في الذات والصفات والأفعال، ونزهه عن الأنداد والأشباه والنظير والأمثال، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ﷺ الذي حوى كل الكمالات الإنسانية، وشرفه ربه بأن جعله أفضل الكائنات البشرية، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد من صلى عليه من خلقك، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد من لم يصل عليه من خلقك، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد من يصلي عليه من خلقك إلى يوم القيامة في كل يوم ألف ألف مرة .

أمـا بعـد

مع أنني لست من أهل هذا الميدان، ولا من فرسان هذا الشان، لكنني استخرت الله تعالى في كتابة هذا البحث الطيب بذكر أولياء الله تعالى، وحيث إن من استفاد فعليه أن يفيد، ورغم أن هذا العلم دقيق، فدونت هذا البحث كما جاء وتقدم في هذه الصفحات، وحتى إن ظهر قصر باعي في التعبير، وبلوغ نهايتي في التقصير، فذاك هو المقام المناسب لي، لأن المقام خطير، والتعبير في هذا الموطن بقدر التنوير.

أما من حيث ما منَّ الله على به من خلال هذا البحث فنعمه تعالى لا تعد ولا تحصى، لكن أقول: بعد هذا البحث توصلت إلى نتائج من أهمها :-

١. التصوف جزء لا يتجزأ من تاريخ الأمة، مثله مثل أي تيار عرفته هذه الأمة، محاسنه ومساوئه بقدر قربه من الكتاب والسنة وبعده، وهذا العلم من أفضل العلوم، وأزكى الفهوم، ولا ينكره إلا من كان من بركته محروما، ولا يقول بالاستغناء عنه إلا جهول حرم لذة الوصول، ومن جهل شيئا عاداه .

٢. المغرب الإسلامي مليء بالعلماء والأولياء والذين كان لهم الأثر البالغ في تحويل البلاد والعباد إلى بقاع طاهرة عامرة بأهلها، تزار بل ويتشرف الناس بالذهاب إليها والتبرك بآثارها، والنهل من علمائها.

٣. الإنسان عندما يطلق لخياله العنان كي يرسم الصورة التي يحبها في حياته فإنه بذلك يستخدم قوة التفكير الإيجابي في تغيير واقعه الذي لا يريده، وهذا ما حصل لسيدنا أبي مدين.

٤. قوة العزيمة من الصفات النفسية التي لها أثر إيجابي على حياة صاحبها وعلى شخصيته كذلك، وهي تعني قوة الإرادة أيضا، وبذلك تتحقق الأهداف ويتحقق النجاح في الحياة، وهو بالضبط ما حصل للشيخ.

٥. لا شك أن أدب الصحبة وحسن العشرة ومجالسة الأكابر من الأخلاق الإلهية التي أوصانا الله بها، وهذه المجالسات لها علوم وثمار وأسرار ونتائج تظهر تجلياتها على صاحبها، فهم الذين جالسوا الله، ومن جالس الله بقلبه وبسره تجلى عليه الله، وهذه التجليات فيها من العلوم ما لا يعلمه إلا الله.

٦. كتب الطبقات ودراسة المناقب هي التي تمدنا بكثير من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تعكس التطلعات الأخلاقية والتوجهات الفكرية لأصحابها، فما أحوجنا لدراسة تاريخ أسلافنا من علمائنا ومشايخنا.

٧. تلقي العلوم والمعارف بالتلقين عن طريق المشايخ وبالإسناد من أهم مزايا التعليم التفاعلي وهو الذي يسمى علم الدراية.

والله الكريم أسأل أن يلهمنا لمنهجه القويم، وطريقه المستقيم، وأن يقيل عثراتنا في مظان الزلات، ويشغلنا بعيوبنا في سائر الأوقات، إنه المتفضل بجميع الخيرات، واللهم اجعل ما كتبته ونقلته نافعا، وللخيرات جامعا، أنت أعلم بما قصدناه به.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الأبرار وزين المرسلين الأخيار وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار عدد ما يختلف عليه الليل والنهار، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

١)	آثار البلاد وأخبار العباد، تأليف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، نشر: دار صادر بيروت.
٢)	الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني لسان الدين ابن الخطيب، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ .
٣)	إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٤)	الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد السلاوي، نشر: دار الكتاب، الدار البيضاء.
٥)	الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٦)	الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، نشر: دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
٧)	الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تأليف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، نشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ.
٨)	أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين الغوث

	وأصحابه رضي الله عنهم، تأليف أبو العباس أحمد بن الحسين الشهير بابن قنفذ، ط دار المقطم، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٩)	الأنساب، تأليف: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، نشر: دار الفكر بيروت ١٩٩٨م الطبعة الأولى.
١٠)	الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني اليماني ١٤١٧هـ ١٩٩٦م الطبعة الأولى.
١١)	إيقاظ الهمم بشرح الحكم للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة، ط دار المعارف.
١٢)	البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
١٣)	البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، تأليف عمر بن علي بن أحمد الأنصاري ابن الملقن، نشر: دار الهجرة بالرياض ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م الطبعة الأولى.
١٤)	بستان العارفين تأليف محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
١٥)	بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب، تأليف علي بن يوسف الشطنوفي، نشر المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم،

	فاس بالمغرب.
١٦)	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تأليف: ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، الناشر: دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
١٧)	تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية.
١٨)	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: المكتبة التوفيقية،
١٩)	تاريخ الجزائر الثقافي، المؤلف: أبو القاسم سعد الله، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع بالجزائر، الطبعة: ٢٠٠٧م.
٢٠)	التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.
٢١)	تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
٢٢)	تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٢٣)	تاريخ قضاة الأندلس، المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الأندلسي، الناشر: دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٤)	التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.
٢٥)	التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف: محمد الكلاباذي أبو بكر، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠هـ.
٢٦)	التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
٢٧)	تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر دار الرشيد سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢٨)	التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المؤلف: محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٩)	التكملة لكتاب الصلة، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، الناشر: دار الفكر لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٣٠)	تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن

	شرف النووي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٣١)	تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
٣٢)	تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن الشهير بالمزي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٣٣)	التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاصر بيروت دمشق ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى.
٣٤)	جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف : مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير، الناشر : مكتبة الحلواني، الطبعة : الأولى.
٣٥)	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٦)	جامع كرامات الأولياء، تأليف القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني، ط المكتبة التوفيقة.
٣٧)	جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تأليف أحمد

	بن القاضي المكناسي، ط دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط ١٩٧٣م.
٣٨)	جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، عشر رسائل تراثية لكبار العلماء، جمع وتحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الآثار الإسلامية للطباعة والنشر، بربلي، سريلانكا، توزيع دار الكرز ٢٠٠٦م.
٣٩)	حاشية الإمام ا البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، بتحقيق الأستاذ الدكتور علي جمعة، ط دار السلام ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٤٠)	حاشية الإمام محمد السباعي على شرح الخريدة للشيخ أبي البركات الدردير على خريدته في التوحيد، ط المطبعة العامرة المليجية ١٣٣١هـ.
٤١)	الحاوي للفتاوي للإمام جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر.
٤٢)	حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر : دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
٤٣)	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٤)	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الهند، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
٤٥)	ديوان أبي مدين شعيب الغوث، إعداد وجمع وترتيب د عبد القادر سعود ، د سليمان القرشي، ط لبنان ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٤٦)	الرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف العارف بالله أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، ط المكتبة التوفيقية.
٤٧)	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٤٨)	الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
٤٩)	سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٥٠)	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، الناشر: دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٥١)	شرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المسمى بالبيان

	والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد من كلام العارف بالله سيدي أبي مدين، ط بولاق العامرة ١٢٩٧هـ.
٥٢)	شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر البراك، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
٥٣)	شرح المقاصد في علم الكلام، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار النشر: دار المعارف النعمانية باكستان ١٤٠١هـ -١٩٨١م، الطبعة: الأولى.
٥٤)	شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، تأليف الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود، ط دار المعارف.
٥٥)	صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥٦)	صلة الخلف بموصول السلف، المؤلف: شمس الدين، محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني السوسي المكي، دار النشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٥٧)	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار النشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
٥٨)	طبقات الأولياء، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن

	أحمد الشافعي المصري، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٥٩)	طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٦٠)	طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
٦١)	طبقات الصوفية، المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري السلمي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٦٢)	الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.
٦٣)	طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٤)	العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٥)	عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المؤلف: أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس الغِبْرِيني، الناشر دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٦٦)	غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ .
٦٧)	فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
٦٨)	الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن عربي ط دار صادر بيروت .
٦٩)	قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تأليف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد الحضرمي الشافعي، نشر: دار المنهاج جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.
٧٠)	الكامل في التاريخ، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، نشر: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
٧١)	كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف إمام الحرمين الجويني، نشر مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.
٧٢)	كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٧٣)	كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٧٤)	كتاب جامع الأصول في الأولياء ص ١٦٠وما بعدها، الملل والنحل ص ١٠٢، التعريفات ص ٢٣٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥٨، لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢.
٧٥)	كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم، للشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي، ط دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٧٦)	كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ) الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٧٧)	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٧٨)	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٧٩)	كنوز الذهب في تاريخ حلب، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن محمد بن

	خليل، موفق الدين، الناشر: دار القلم حلب، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ..
٨٠)	الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تأليف زين الدين محمد بن عبد الرءوف المناوي، ط دار صادر بيروت.
٨١)	اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار النشر دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
٨٢)	اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٨٣)	لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل بن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٨٤)	مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٨٥)	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، المؤلف: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٦)	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٨٧)	مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، المؤلف: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الناشر: دار الجيل لبنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٨٨)	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تأليف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، الناشر: المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٨٩)	المسالك والممالك للبكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
٩٠)	المستفاد في مناقب العبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي، ط مطبعة طوب بريس بالرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان.
٩١)	المطرب بمشاهير أولياء المغرب للشيخ عبد القادر التليدي، ط دار الأمان بالرباط، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م
٩٢)	معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار النشر: دار الفكر بيروت.
٩٣)	معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى

	بيروت.
٩٤)	معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ) نشر: دار الفكر.
٩٥)	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.
٩٦)	المعزى في مناقب أبي يعزى، تأليف أحمد التادلي الصومعي، ط مطبعة المعارف الجديدة الرباط ١٩٩٦م.
٩٧)	المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
٩٨)	المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح للشيخ أبي العباس أحمد بن إبراهيم الماجري المغربي، ط المطبعة المصرية، ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م.
٩٩)	المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٠٠	المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، ط المطبعة العلاوية بمستغانم ١٤٨٩هـ

١٠١	مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم تأليف الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن عربي، ط مكتبة القاهرة.
١٠٢	موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن علي بن محمد الحنفي التهانوي، نشر: مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
١٠٣	النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، لمحمد بن أبي الفضل بن سعيد التلمساني ، ط مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء.
١٠٤	نزهة الألباب في الألقاب، تأليف: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار النشر: مكتبة الرشد الرياض ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، الطبعة الأولى.
١٠٥	نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نشر: دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
١٠٦	نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، نشر: دار الكاتب، طرابلس ليبيا ٢٠٠٠م.
١٠٧	الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٨	الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي ، نشر: دار الإقامة الجديدة بيروت ١٩٧٨م.
١٠٩	اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر وبهامشه الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر للإمام عبد الوهاب الشعراني ، ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.

